وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: علوم إنسانية
الشعبة: تاريخ

الحضور المذهبي في الحياة السياسية في المغرب الإسلامي من خلال كتاب الرقيق القيرواني (420هـ/ 1029م)

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبين:

عثماني يعقوب

بن لعربي عامر

إشراف:

د. حمزة عبد الصمد

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د، مزاري توفيق عبد الصمد	محاضر – أ –	رئيسا
د، حمزة عبد الصمد	محاضر – أ –	مشرفا ومقررًا
د، امحمد بخيتي	محاضر – أ –	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية

1443هـ/ 1444هـ

2021م/ 2022م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: علوم إنسانية
الشعبة: تاريخ

الحضور المذهبي في الحياة السياسية في المغرب الإسلامي من خلال كتاب الرقيق القيرواني (420هـ/ 1029م)"

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبين:

عثماني يعقوب

بن لعربي عامر

إشراف:

د. حمزة عبد الصمد

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د، مزاري توفيق عبد الصمد	محاضر – أ –	رئيسا
د، حمزة عبد الصمد	محاضر – أ –	مشرفا ومقررًا
د، امحمد بخيتي	محاضر – أ –	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية

1443هـ/ 1444هـ

2021م/ 2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، تباركت يا رب وتعاليت" سبحانك

لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم"

ونصلي ونسلم على خير نبي ارسل للعالمين سيدنا محمد عليه ازكى الصلاة وافضل التسليم

وعلى آله وصحبته الطاهرين.

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل حمزة عبد الصمد الذي تولى الاشراف علينا في هذا البحث، وأشكره على توجيهاته و نصائحه و على تحمل مشاق هذا الاشراف ومراجعته و تصحيحه ، كما اوجه شكري لكل زملاء المشوار الدراسي و الى كل من مد لي يد المساعدة عن قريب او من بعيد فجزاكم الله خير الجزاء.

اهداء

اهدي ثمرة مجهودي الى :

والدتي ام علي، ووالدي محمد اشكركما على كل مجهود بذلتماه من اجلي وعلى تعبكما و تشجيعكما و دعمكما لي طيلة المشوار الدراسي، جزاكما الله عني خير الجزاء، اتمنى لكما التوفيق و كل الخير في دروب حياتكم.

الى كل اخوتي، وفقكم الله كل خير.

الى اساتذتي الذين علموني و ساعدوني خلال جميع المراح التعليمية.

الى جميع اصدقائي و زملائي.

الى كل من اعانني و افادني خلال مشواري الدراسي.

بن لعريبي عامر

اهداء

بسم الله و الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم

أهدي هذا العمل المتواضع الى من تقر بهم عيني الى والدي العزيزين اللذان سهرا على تربيتي و تعليمي و انارا درب حياتي، و اوصلاني الى بر الامان.

و الى كل افراد عائلتي من صغيرهم الى كبيرهم و الى استاذي الفاضل حمزة عبد الصمد و كذلك الى كل اصدقائي و زملائي.

عثماني يعقوب

قائمة المختصرات

ت	تُوفِّيَ
تح	تحقيق
د. س	دون سنة
تر	ترجمة
م	التاريخ الميلادي
مج	المجلد
هـ	التاريخ الهجري
ج	الجزء
ط	الطبعة
ع	العدد
ج	الجزء
ص	الصفحة

المقدمة

شهد المغرب الإسلامي بداية الفتح في فترة مبكرة، لكنها لم تكلل بالنجاح والاستقرار إلا حينما قام الوالي الأموي عقبة ابن نافع الفهري من بتأسيس مدينة القيروان (50هـ) وجامع القيروان الذي يشكل منارة علمية و سفارة للصحابة والتابعين

في البداية كانت المنطقة على المذهب السني، لكن مع ان لاع الفتن في بلاد المشرق وظهور الفرق الدينية (الخوارج والشيعة)انتقلت افكار ومعتقدات هذه الفرق الى بلاد المغرب الإسلامي عبر دعاة هذه المذاهب ، خاصة الفكر الخارجي الممثل في فرقتي الإباضية والصفرية، الذي ساعد على ظهور هذا الأخير هو جور بعض الولاة الأمويين ومعاملتهم للرعية وكذا رغبة وتفاني دعاة المذاهب في تجسيد أفكارهم التي كان لها آثار فكرية واجتماعية وسياسة، هذه الاخيرة تبلورة إلى كيانات سياسية (الاباضيون شكلوا الدولة الرسمية بالمغرب الأوسط والصفرية شكلوا دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى بسجلماسة) نصرت هذه الكيانات عصبيات دينية وقبلية وكانت تسير هذه الدويلات وفق تعاليم مذهبهم.

أصبحت هذه الدويلات لها علاقات سياسية مع بعضها البعض ومع مركز الخلافة السنية في المشرق الدولة الأموية والعباسية بعدها.

دوافع اختيار الموضوع :

ومن هذا المنطلق ارتأينا الخوض في غمار موضوع " الحضور المذهبي في الحياة السياسية في المغرب الإسلامي من خلال كتاب الرقيق القيرواني (420هـ/ 1029م)"، لعدة اعتبارات:

– رغبتنا الشديدة في معرفة المذاهب التي أثرت على الحياة السياسية في المغرب الإسلامي.

– كذلك كشف ما عانته بلاد المغرب الإسلامي من صراع مذهبي للوصول إلى السلطة.

– محاولة معرفة التاريخ المذهبي للمغرب الإسلامي وابرز مراحله مع السلطة وخاصة ما يتعلق بالجانب السياسي.

– إثراء الأبحاث الجامعية حول هذا الموضوع لأنه لم يأخذ حقه من الدراسة والبحث.

– الفضول العلمي حول موضوع الحضور المذهبي في الحياة السياسية في المغرب الإسلامي وعدم إهمال بعض الجزئيات.

اهمية الموضوع :

تعتبر دراسة موضوع الحضور المذهبي في الحياة السياسية في المغرب الإسلامي دراسة بالغة الأهمية رغم وجود ما الف فيه فالباحث المتصفح للإرث التاريخي الوسيط يدرك مدى الحاجة إلى المزيد من القرآت العلمية الرصينة في هذا الجانب.

وكذلك لأنه يمس توجهاتنا الفكرية ومعتقدنا الإسلامي، وبالتالي يكشف لنا الكثير من الحقائق التاريخية والآراء المختلفة في بلاد المغرب الإسلامي، حيث شهدت العديد من الصراعات والاحداث والمحطات الحاسمة، التي كان لها الأثر الكبير في تغير الأوضاع السياسية منعكسة بذلك على الجانب الديني الذي انجر عنه الكثير من الانقسامات في صفوف المسلمين وبوز العديد من المذاهب والفرق وما احدثته من صراعات ونزاعات، لان الموضوع يمثل جانبا كبيرا من تاريخنا الإسلامي خاصة في بلاد المغرب.

الإشكالية المطروحة:

ولأجل الوقوف على ذلك تبلورت لنا اشكالية الموضوع والتي نصوغها كالتالي:

إلى أي مدى صور الرقيق القيرواني الحضور المذهبي في الحياة السياسية في المغرب الإسلامي؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات وهي كالاتي:

- كيف كانت تأثير المذهب الخارجي على الحياة السياسية في المغرب الإسلامي؟
- ماهي أبرز الفرق والمذاهب التي ظهرت في المغرب الإسلامي؟

- كيف كانت العلاقة بين المذاهب والدويلات القائمة في المغرب الإسلامي؟

منهج الدراسة:

واقتضت الإجابة عن الإشكالية المطروحة الاعتماد على المنهج التاريخي واستقصاء المادة العلمية من المصادر والمراجع، مستخدمين في ذلك المنهج الوصفي في المبحث الثاني من حيث وصف أحداث الصراع وأهم محطات الحضور المذهبي في المغرب الإسلامي.

والمنهج التحليلي في إتباع وتحليل الأفكار وتلخيصها للوصول إلى نتائج واستنتاجات في بحثنا هذا خاصة في مظاهر الحضور المذهبي في الحياة السياسية.

خطة البحث :

وقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، اما المقدمة فتضمنت تحديد عنوان الموضوع ودوافع اختيار الموضوع واهميته واشكاليته ومصادره ومراجعه والصعوبات، اما بالنسبة للمبحث الأول فتطرقنا الي دراسة الكاتب و الكتاب ويتفرع إلى مطلبين في المطلب الأول تناولت حياة الكاتب ونشأتها، وفي المطلب الثاني فقمنا بدراسة شاملة للكتاب، والمبحث الثاني تحت عنوان المذهب الخارجي ودوره السياسي ببلاد المغرب شمل ثلاث مطالب المطلب الأول تناولنا تعريف ونشأة المذهب الخارجي، والمطلب الثاني بعنوان المذهب الإباضي ودوره السياسي اما المطلب الثالث المذهب الصفري دوره السياسي والمبحث الثالث بعنوان المذهب المالكي وصراعه ضد مخالفيه حيث عرضنا فيه ثلاث مطالب كذلك بالنسبة للمطلب الأول تحت عنوان تعريف المذهب المالكي ونشأتها ببلاد المغرب والمطلب الثاني بعنوان صراعه ضد الخوارج اما الطلب الثالث فبعنوان الدولة الاغلبية واحتضانها للمذهب المالكي.

عرض المصادر والمراجع :

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على انواع عديدة من المصادر والمراجع، كتب التراجم والطبقات والموسوعات التاريخية سنعرض اهمها و أهميتها فيما يلي:

اولا – عرض المصادر:

كتاب "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" لابن خلدون والذي يعد مصدرا مهما في تاريخ المغرب يتألف من 7اجزاء تكلم فيها عن تاريخ الغرب قبل الإسلام والدول الاعجمية ثم ذكر الدول الاسلامية بعد الخلافة الراشدة، وما يهمنا هو الجزء السادس حيث ذكر فيه خبر الخوارج، فكانت جل اخبار هذا الكتاب عن الجانب السياسي.

كتاب "**البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الأندلس و المغرب**" لابن عذارى المراكشي (ت716) يعد هذا الكتاب ذا اهمية كبيرة لأنه مصدر متخصص في منطقة الغرب الإسلامي فالكتاب يتألف من جزئيين، جزء لتاريخ المغرب وجزء لتاريخ الأندلس، والذي يهمنا هو الجزء الأول لأنه متعلق بموضوع بحثنا حيث افادتنا في معرفة تاريخ الخوارج وقدومهم إلى المنطقة والثورات التي قاموا ضد الولاة الأمويين وكذلك المذاهب التي كانوا عليها الإباضية والصفرية.

ثانيا – عرض المراجع :

كتاب "**تراجم المؤلفين التونسيين**" للكاتب محمد محفوظ، كتاب يتناول الحديث عن اهم اعلام الأدب التونسي وكذلك يبرز التراجم التونسية على مر الزمنية وهو كتاب موسوعي وشامل، ويعد مرجعًا هاما، وما يهمنا هو الجزء الثاني حيث تناول حياة الرقيق القيرواني وابرز مؤلفاته.

كتاب "**الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس(160هـ-296هـ)**" يفيد الكتاب في التكلم عن اخبار الخوارج وبالتحديد المذهب الإباضي الذي تمثل

سياسيا في الدولة الرستمية، فهذا الكتاب خصص الحيز الجغرافي، فذكر أحوال المنطقة قبل مجيء الخوارج ثم ذكر الثورات الخارجية الواقعة في المنطقة بعدها تطرق إلى نسب الرستميين وتأسيسهم للدولة، كما خصص فصلا للعلاقات الخارجية للدولة مع جيرانها وافادنا هذا الكتاب بمعلومات قيمة.

كتاب "**الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4ه**" لمحمود اسماعيل عبد الرزاق، تطرق الكاتب الى ذكر أحوال المغرب قبل مجيء الخوارج، ثم الثورات التي قام بها الصفريون والاباضيون ضد الولاة كما عرض دولتا الخوارج وعلاقاتهم السياسية كما ذكر في الاخير أثر الخوارج في مجتمع المغرب المغربي في الجانب السياسي و الاجتماعي والثقافية.

صعوبات الدراسة :

وقد واجهنا ونحن نقوم بهذا البحث عدة مصاعب اهمها:

- منهج المؤلف في اختصار بعض الأحداث الهامة، التي كانت تهمنا في موضوعنا هذا، مما تطلب منا الاستعانة بمصادر أخرى تناولت تلك الأحداث التي تخص موضوع بحثنا.
- ضيق الوقت لأن طبيعة الموضوع في حد ذاته، يتطلب القراءة المتأنية والتمعن الطويل في النصوص التاريخية، حتى نتمكن من معالجة اشكالية هذا البحث.
- انعدام مصادر ومراجع التي تخص حياة الكاتب او ترجمة له، حيث واجهنا صعوبة في عدم الوصول إلى أبرز محطات نشأته وتعليمه في المبحث الأول.

المبحث الأول : دراسة الكاتب والكتاب .

1 ترجمة الكاتب .

1 1 نشأته .

1 2 مؤلفاته .

1 3 عصر الكاتب السياسي والعلمي .

2 دراسة لكتاب تاريخ إفريقية والمغرب .

2-1 دراسة ظاهرية للكتاب .

2-2 محتوى الكتاب .

2-3 مصادره .

2-4 منهجه .

1- ترجمة الكاتب :

1 1- نشأته :

إبراهيم القاسم المعروف بالرقيق القيرواني أبو إسحاق الكاتب الأديب، الشاعر المؤرخ. ولد بالقيروان ومات بها وتاريخ ميلاده ووفاته غير معروفين كما أن تفاصيل حياته غير معروفة بدقة [1].

نجد آراء مختلفة في تاريخ ولادته ووفاته، يذكر كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي " أبو إسحاق بن الرقيق، توفي سنة 340هـ/952م، كتابه في تاريخ إفريقية والمغرب ودول القيروان مثالا لتواريخ الأمصار. [2]

ونجد الزركلي وضع ترجمة في كتابه الأعلام للرقيق القيرواني حيث يقول فيها : " إبراهيم القاسم ابو إسحاق المعروف بالرقيق القيرواني أو ابن الرقيق مؤرخ أديب من أهل القيروان، كان يلي كتابة الحضرة في الدولة الصنهاجية واستمر فيها زهاء نصف قرن ورحل الى مصر في سنة 388هـ يحمل هدية من باديس ابن زيري إلى الحاكم وعاد إلى وطنه فتوفي فيه على الأرجح " [3].

ويرى أنه ولد في القيروان في منتصف القرن الرابع للهجرة حوالي وقت الذي انتقل فيه الفاطميون من إفريقية إلى مصر (362هـ/972م) عقب تأسيس القاهرة المعزية[4].

لقد برع الأديب القيرواني في الشعر حيث قال عنه ابن رشيق[5]، في كتابه الأنموذج: "هو شاعر سهل الكلام محكمه، لطيف الطبع تلوح الكتابة على ألفاظه قليل صنعة الشعر.

غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار وهو بذلك أحذق الناس وكاتب الحضرة

---

[1]- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص379 .
[2]- كارل بروكلمان، **تاريخ الادب العربي**، ج3، تر الدكتور عبد الحليم النجار، ط5، دار المعارف، القاهرة، ص83.
[3]- خبر الدين الزركلي، **الاعلام**، ج1، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ص57 .
[4]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص380.

منذ نيف وعشرين سنة من الآن " [1]

ومن شعره :

قريض كابتســـام الرو ض جمشه نسيم صبا .
كعقد من جمـــان الط ـل منضوم وما ثقبـا .
ومنـثور كـــنثر الدُ رَ من أسلاكه إنسربـا .
فأهدى نشر زهرتـــه فتيت المسك منتهبـــا .

وله قصيدة يذكر فيها المناهل وكذلك له قصائد في المدح والغزل[2].

كذلك تعريف آخر في كتاب العمر: " إبراهيم ابن القاسم أبو إسحاق المعروف بالرقيق، والرقيق لقب له وليس هو اسمه، كما ضن بعض الكتاب منهم ابن خلدون أنه لقب ابيه فوسمه بابن الرقيق وهو وهم ".[3]

مؤرخ قيرواني جليل وأديب بليغ، في مقدمة كتاب إفريقية المجدبينفي عصر حضارتها الزاهرة، ونظارتها الباهرة وقد يعتبر بحق إماما للتاريخ التونسي .[4]

وقال ابن خلدون في أواخر المقدمة مثنيا على موهبته التاريخية ومهارته فيها :"ابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان، ولم يأتي من بعده إلا مقلد " . [5]

وكان يعيش عيشة الأدباء من معاقرة الخمر مع أصحابه وله الشعر أجاب به عن أبيات كتبها إليه عمار ابن جميل و قد انقطع عن مجالس الشراب[6].

---

[1]- حسن ابن رشيق القيرواني، **انموذج الزمان في شعراء القيروان**،تح: محمد العروسي المطوي،دط،الدار التونسية للنشر،تونس،1986، ص 55.

[2]- نفسه، ص56.

[3]- حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، المجلد الثاني، القسم الأول، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1425هـ/2005م، ص407 .

[4]نفسه ، ص407

[5]-عبد الرحمان ابن محمد ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تح كارتمير، طبعة باريس، 1858م، مكتبة لبنان ، بيروت ، ص4.

[6]محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ص381.

1 -2 مؤلفاته :

من المعلوم أن مؤلفات الرقيق القيرواني لم تصرنا في معظمها، لكن قوائم الكتب التي نسبت إليه تدل أنه برع في مجالات ثقافي متعددة وهي كالآتي :

- كتب التاريخ : للرقيق القيرواني عدة مؤلفات في التاريخ والاخبار التي لم نعرف منها الا ثلاث عناوين[1] .

الكتاب الأول المهم هو كتاب إفريقية والمغرب في عشر مجلدات وهو أثره الخالد ابتدأ فيه من أخبار الفتح العربي الى نهاية سنة (417هـ/1026م) كما أسلفنا، ومنه قسم مهم شهد المؤلف حوادثه بنفسه كما يظهر ذلك من الأنقال الواصلة إلينا عنه، وفي هذا القسم يعتمد غالبا على الوثائق التاريخية، ورما أثبتت المراسلات الدائرة بين الأمراء بنصها، فإنه باشر ديوان الإنشاء مدة تزيد عن ربع قرن كانت فيها الوثائق تحت تصرفه ان لم تكن من تحريره، وقد استمد منه كبار المؤلفين المغاربة كالقاضي عياض في مداركه، والتيجاني في تاريخه، وبعض الجغرافيين الإفرنج في القرن العاشر كالحسن الوزان المعروف باسم ليون الإفريقي والإسباني مرمول وأغلبه مفقود إلا مجلد منه يشمل أحداث إفريقية من الفتح العربي الى بداية الدولة الأغلبية .[2]

- كتاب أخبار بني زيري الصنهاجيين :

حيث يشمل اخبار الأمراء الثلاثة الاول منهم زيري ابن مناد، وابنه أبو الفتوح يوسف، وأبنه المنصور، وقد أشار إليه الرقيق عند كلامه على دولة المنصور (من سنة 374هـ الى 386هـ) حيث قال " وقد ذكرت سيرته وحروبه وعطاياه في كتاب مفرد لأخبار جده وابيه وأخباره وهو مفقود أيضا. [3]

- كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك :

يظهر من تسميته أنه في المحاضرة والآداب في أربع مجلدات لم يصل إلينا ولم يؤثر عليه.

- قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور :

في جزئين من أشهر مؤلفات الرقيق الذي حقق جزءا كبيرا منه عبد الحفيظ منصور وقد قال الرقيق في مقدمته " وأودعته من أمثال الحكماء ومنثور البلغاء ومنظوم الشعراء وأخبار الأدباء والظرفاء، ما لا يستغني عنه شريف ولا يجوز أن يخلو منه ظريف ..." وقد ظهر أخيرا في طبعته العلمية وحقق من قبل الدكتورة سارة بربوش ابن يحي في1248صفحة. [4]

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص410 .

[2]- نفسه، ص411

[3]- نفسه، ص412 .

[4] - **الموسوعة التونسية المفتوحة** ، ابن الرقيق القيرواني، 2022/03/14، سا 10:13 ، www.mawsouaa.tn.

- كتاب الصبوح والغبوق :
في الخمريات أيضا يخرج في نحو 70 ورقة منه نسخة عند بعض الكتاب بالقاهرة تاريخها سنة 688هـ ، منه نسخة في مكتبة برلين مقيدة تحت رقم 8396 والظاهر هذه النسخة إنما هي ككتاب الصبوح والغبوق للرقيق . [1]
* كتاب الراح والارتياح: في الأدب ، مفقود أيضا.
* كتاب معاقرة الشراب.
* كتاب الأغاني : مجلد ضخم .
* كتاب النساء : خصصه في أخبار الشاعرات وغيرهن من المشهورات .
* كتاب الاختصار البارع للتاريخ الجامع:
فيه عدة مجلدات ولاندري إن كان اختصارا لتاريخيه الكبير لحوادث إفريقية والمغرب المتقدم أم هو موجز لغيره من التواريخ الإسلامية الجامعة ككتاب الطبري وغيره .[2]
* كتاب المتيمين: ذكره صاحب الخبر في معرفة عجائب البشر ونقل عنه حكايات .
* كتاب أنساب البربر : مفقود.
وله كتاب في الشعر، منه نسخة في مكتبة باريس .[3]
من خلال كل هذا استطعنا أن نجمع أكبر قدر من التصانيف التي ألفها الرقيق القيرواني ، فمنها ما هو محقق ومنه ما هو مفقود، ومنها ما ينتظر التحقيق . ولاريب أن للرقيق مصنفات غير ما ذكرنا ولم تبلغ إلينا أسمائها .

قد ساهم الأديب في إثراء المكتبة التراثية بنوعية مؤلفاته التاريخية والأدبية التي لاتزال تدرس الى اليوم .

3-1 عصر الكاتب السياسي والعلمي:

سنتطرق في هذا العنصر الى عصر الرقيق القيرواني بما يحمله من مستجدات آنذاك خاصة في الساحة السياسية، حيث شهد عصره بداية للتأليف وظهور دويلات جديدة في المغرب الإسلامي .

1-3-1- الأوضاع السياسية:
كان الصنهاجيون أمراء وضلوا يتمتعون بالاستقلال الذاتي ولكنهم يدينون بالتبعية الإسمية للخليفة الفاطمي التي تتمثل في ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة وتطريزه على ثياب

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص413 .
[2]- نفسه، ص 413 .
[3]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 385.

الأمير وعلى الأعلام التي لا يخالف لونها أعلام الخلافة، وكان الأمراء يتوارثون الملك ويتخذون ولات العهد، فإذا تولى أمير جديد بعثوا للخليفة الفاطمي في القاهرة يطلبون منه

سجل التقليد والاعتراف بشرعية حكمه، ويلتمسون الخلع والألقاب والأعلام وضلت الولاية وراثية في أعقاب بلكين أبي الفتوح بإفريقية من سنة 362هـ الى 542هـ حين استولى النورمانديون على مدينة مهدية، وضل بنو زيري يدينون بالتبعية بالخليفة الفاطمي الى سنة 443هـ/1051م حيث قطعت الخطبة للمستنصر الفاطمي[1].

أما الحماديون فكانوا من عهد حماد يخطبون لبني عباس، بينما كان الزيريون تأتيهم سجلات التقليد مشفوعة بالأعلام والهدايا والألقاب التشريفية مثل مصير الدولة (باديس) وشرف الدولة وعضد الدولة (المعز ابن باديس) وتاج الخلافة (الحسن)[2].

اما بالنسبة للنظام الإداري كان له عمال وكتاب في بلاط الحكم، ومن خلال ماذكرت المصادر فإن الرقيق القيرواني تولى الكتابة لثلاث أمراء صنهاجيين كما ذكر في تراجي المؤلفين التونسيين حي يقول :

"تولى الكتابة لثلاث أمراء صنهاجيين زيريين : المنصور (374هـ/984م) وباديس (386هـ-406هـ/996م-1016م) والمعز بداية مع (406هـ/1016م) "[3].

كما أسندت له وظائف كاتب الامير ومهمات تشريفاتية اكثر منها دبلوماسية وسافر مع مخدوميه في حروبهم مع قبائل المغرب الأوسط أو بني عمهم الحماديين أمراء القلعة .[4]

ارسله باديس ابن المنصور سنة (386هـ/996م) ثم في (388هـ/998م) الى القاهرة لتهنئة الحاكم بأمر الله الفاطمي مع هدية لتقديمها له، وخدمته للأمراء الثلاثة جعلته نديما لهم ومقدرين فيه آداب السلوك وميله الى حياة السرور ولثقافته وصفاته الاديب الماهر، سمي بالكاتب النديم .[5]

1-3-2- الأوضاع الفكرية والعلمية :

لما غادر الفاطميون إفريقية حملوا معهم التراث الثقافي الأغلبي والكتب التي كانت تزخر بها مكتبة الحكمة الشهيرة، ويبدو ان وزير اليهودي يعقوب ابن كلس كان أحد المسؤولين عن هذه العملية [6].

---

[1]- محمد الطمار، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر، 2010م ، ص181.

[2] - نفسه، ص181.

[3]- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص379.

[4] - نفسه، ص380.

[5] -نفسه، ص380.

[6] -الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 الى القرن 12**، ج2، تر حمادي الساحلي، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص385 .

[7] -نفسه ،ص386.

إلا أن المكتبات الخاصة قد احتفظت بذخائرها، وكانت مدة ولاية المعز ابن باديس تمثل العصر الذهبيللخط الإفريقي في عهد ابن زيري وقد احتفظ الجامع الأعظم بالقيروان في مكتبته بعدة نماذج من هذا الخط . [7]

وبالنسبة للمذاهب فقد انتشر المذهب المالكي في العصر الصنهاجي حيث يقول الكاتب " وقد كان الصبيان يتعلمون في الكتاب القراءة والكتابة وتلاوة القرآن وكانوا يكتبون الآيات القرآنية على الألواح، ويرتلون القرآن بصوت واحد، ويبدو أن تعليم مبادئ الفقه للصبيانلا يبدأ الى بعد الختم الجزئي أو الكلي للقرآن وقد أسلفنا أن المالكية كانوا يأنفون من تلقين أي شيء غير القرآن لأبناء الخوارج" .[1]

ما فتئ في شرق الغرب الإسلامي يزدهر أكثر فأكثر في أحد بني عبيد، ويبدو أن رحيل المعز لدين الله الفاطمي لم يتسبب قط في تدهوره، ذلك أن معظم الشعراء والأدباء لم يصاحبوه الى القاهرة بل بالعكس من ذلك فقد مكثوا في القيروان وغيرها من المدن الاخرى[2] .

وكان الرقيق الكاتب والدبلوماسي ومؤرخ الدولة الصنهاجية، من فصول الشعراء وكبار الأدباء، وقد مخدوميه في مقدمته نائب الأمير بن أبي العرب[3] حيث يقول :

أضالمة العينين لحظهما السَحر وإن ظلم الخدَان وإهتظم الخصر
أعوذ ببرد من ثناياك قد ثنـــى اليك قلوبا حشو أثنائها جمـــــر
لقد ظمنت عيناك أن ظمانتـــي ستبري عظامي بالنحول ولا تبرو
وما أم ساجي الطرف خفاقة الحشا أطاع لها الحوذان والسلم النظـــر[4]

وهي قصيدة طويلة.

بالرجوع الى العصر الذي عاش فيه الرقيق القيرواني يمكن القول بأنه عاصر فترة الصنهاجيين والأدارسة والفاطميين وكان شاهدا على ذلك .

---

[1]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص388 .
[2] - نفسه ، ص 391.
[3] - نفسه، ص 398 .
[4] - حسن ابن رشيق القيرواني، المصدر السابق، ص59.

وحياته لم يتم التطرق إليها بشكل مفصل هذا ماجعل الحقائق التاريخية تختلف حول تاريخ ولادته ووفاته ومذهبه، وخلاصة القول الرقيق القيرواني استطاع من مؤلفه تاريخ افريقية والمغرب أن يترك حضوره التاريخي السياسي للمغرب الإسلامي خاصة في القيروان.

2- دراسة لكتاب تاريخ إفريقية والمغرب :

2-1 دراسة ظاهرية للكتاب :

- مؤلف الكتاب : الرقيق القيرواني.

التعريف بالكتاب من حيث الشكل والمحتوى:

كتاب تاريخ إفريقية والمغرب، كتاب تاريخي من تأليف الرقيق القيرواني ويعتبر مصدر هام لتاريخ إفريقية وبلاد المغرب، منذ بدايات الفتح الإسلامي على يد عقبة ابن نافع وتأسيسه للقيروان، ومواصلة الفتوح على يد الولاة، يحتوي على عنواين واضحة ومقدمة للمؤلف ولم يرفق بخاتمة .

- عنوان الكتاب : تاريخ إفريقية والمغرب.
- اسم المحقق : الدكتور محمد زينهم محمد عزب .
- الطبعة الأولى : 1414هـ/1994م .
- دار النشر : دار الفرجاني للنشر والتوزيع .
- مكان النشر : القاهرة، ميدان الذهبي، مصر الجديدة.
- حجم الكتاب : متوسط.
- عدد الصفحات : 168 صفحة.
- وصف الكتاب :

الواجهة الأمامية للكتاب أعلى الكتاب يوجد عنوان بالخط الغليظ وتحته مباشرة اسم المؤلف، اما في الأسفل توجد صورة لمسجد باللون الرمادي ولون غلاف الكتاب رمادي .

2-2 محتوى الكتاب:

تاريخ افريقية والمغرب كتاب تاريخي من تأليف الرقيق القيرواني ويعتبر مصدر هام لتاريخ إفريقية وبلاد المغرب عموما، منذ بدايات الفتح الإسلامي على يد عقبة إبن نافع الفهري وتأسيسه القيروان إلى مواصلة الفتوح على يد زهير ابن قيس البلوي وحسان ابن نعمان وموسى ابن النصير ثم بداية مرحلة الولاة التي استمرت الى غاية ظهور دولة الاغالبة على يد ابراهيم ابن الاغلب وتتوقف الاحداث عند ولاية ابنه ابي العباس عبد الله .

قسم الكتاب الى عناوين فيبدأ بمقدمة المحقق يذكر فيها احداث قيام دولة الاغالبة في إفريقية، ويسرد فيها الاضطرابات والصراع المذهبي والثورات بين العرب والبربر في الفترة الممتدة من خلافة هشام ابن عبد الملك (105هـ-125هـ/724م-743م)، وكذلك نجده تكلم عن الحياة الإجتماعية في إفريقية حتى قيام دولة الأغالبة وأهم مظاهر الحضارة والعمران فيها .

❖ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب على يد عقبة ابن نافع :

يستهل الكاتب في هذا القسم بالحديث عن عقبة ابن نافع وعن حادثة عزله من طرف ابي المهاجر دينار حيث يقول: " رحل عقبة من الشام ولما مر على مسلمة بمصر اعتذر اليه من فعل أبي المهاجر... وأن يعزل عقبة أحسن عزل "[1]، وكذلك تناول معركته مع النصارى في مدينة باغاية، كما ذكر حرب البربر بقيادة كسيلة حيث يقول: " وأقام كسيلة حتى نزل القيروان وأقام اميرا على الإفريقية وقد بقى من بقى من المسلمين تحت يده ...." [2]

❖ مواصلة الفتح على يد زهير ابن قيس البلوي :

تطرق الكاتب فيها الى الحرب التي دارت بين زهير ابن قيس وكسيلة واحداثها وما وقع فيها من قتلى من الطرفين حيث يقول :" ووفد عليه الجنود، أقبل عسكر عظيم، يريد إفريقية فلما دنا من مدينة القيروان ... وبلغ كسيلة ابن ليوم الأوربي قدوم زهير عليه ... " [3] بعدها خرج الى الروم من برقة الى إفريقية لقتال الروم، فقتل هناك رحمة الله عليه.

❖ ولاية حسان ابن النعمان الغساني :

وفي هذه الفترة دارت الحرب بين الكاهنة وجيشها والصحابي الجليل حسان ابن النعمان حيث ذكر الكاتب احداثها حيث يقول :" وبلغ الكاهنة امره، فرحلت من جبل الأوراس بعدد لايحصى فسبقته الى مدينة باغاية وأخرجت الروم وهدمت حصنها [4] ... زحف بعضهم الى بعض فالتقوا، فتقاتلوا قتلا شديدا... فانهزم حسان ابن النعمان " [5] .

❖ موت عبد الملك ابن مروان :

مات عبد الملك ابن مروان سنة 86هـ، وولى بعده ابنه الوليد ابن عبد الملك،[6] حيث قام بإنشاء دار للصناعة والهجوم على سواحل الروم ونشر الإسلام فيها .

❖ فتح الاندلس في عهد موسى ابن النصير :

تناول هنا اخبار موسى ابن النصير وطارق ابن زياد ومعاركهم في المغرب وتونس والقيروان وما جوارها من مدن ومناطق تواجد فيها البربر حيث ذكر : " ومع طارق

---

[1] - الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ/ 1994م، ص41 .

[2] - نفسه، ص44 .

[3] - نفسه، ص47 .

[4] - نفسه، ص48 .

[5] - نفسه، ص48 .

[6] - نفسه، ص52 .

اثنى عشر ألفا من البربر، فعزم طارق على غزو الأندلس واستنفر البربر.... " [1].

فتح مدينة طليطلة على يد طارق ابن زياد :

تم التطرق هنا إلىأخبار طارق ابن زياد في مواصلة فتحه للمدن حيث يذر الرقيق في كتابه :" وهي مما يلي الإفرنج فانتخب له الرجال ، وسار طارق حتى وقف عليها واناخ بها ... فقاتلهم قتالا شديدا حتى افتتحها فأصاب في جميع كنوزهم واموالهم " [2] .

❖ ذكر أخبار موت الوليد ابن عبد الملك :

ولاية سليمان ابن عبد الملك سنة 96هـ :

ذكر ان خلافته دامت تسع سنين وثمانية اشهر تميزت علاقته مع موسى ابن النصير بالتوتر والصراع حيث ذكر في الكتاب انه قال له : " فسخط على موسى وقال له : يايهودي، كتبت اليك فلم تنظر في كتابي ... " [3].

❖ ولاية محمد ابن يزيد مولى قريش :

تولى الحكم على إفريقية سنة 96هـ ، دامت ولايته سنتين، كانت في احسن احواله حسب ماذر الكاتب حيث قال :" في احسن سيرة واعدلها ببركة سليمان ..." [4] .

❖ خلافة عمر ابن عبد العزيز :

بعد وفاة سليمان ابن عبد الملك في ربيع الأول سنة 99هـ، بويع عمر ابن عبد العزيز واستعمل على افريقية اسماعيل ابن عبد الله ابن المهاجر[5].

كان خير وال ، وخير امير ومازال حريصا على دعاء البربر الى الإسلام فأسلم بقية البربر على يديه، حيث أرسل التابعون العشرة الى المغرب ، يقول حسين مؤنس في كتابه:" ويغلب أن هؤلاء التابعين انبثوا بين البربر وأخذو يعلمونهم أصول الدين ويبصرونهم بقواعده وأشراطه، ويبدو أن اهل إفريقية كانوا على جهل تام بتلك القواعد والأصول " [6]، وتم بناء المساجد والمعاهد لتعليم البربر ومن المساجد التي بنيت على يد هؤلاء التابعين مسجد الرباطي بناه ابو عبد الرحمان عبد الله ابن يزيد المعافري الإفريقي وجامع الزيتونة بناه إسماعيل ابن عبد الله المعروف بتاجر الله .[7]

---

[1]- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص55 .

[2]- نفسه، ص57 .

[3] - نفسه ، ص61 .

[4] - نفسه ، ص 62 .

[5]- نفسه ، ص 63 .

[6] - حسين مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، دط، دت، مكتبة الثقافة الدينية، ص306 .

[7] - نفسه ، ص 306 .

توفي عمر ابن عبد العزيز بدير سليمان في سنة 101هـ، من شهر شعبان فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ثم ولي يزيد عبد الملك[1].

❖ ولاية يزيد بن أبي مسلم الحجاج :

ذكر في الكتاب انه قدمها سنة 102هـ، فمكث أشهرا وحرسه البربر خاصة وقتل هناك من طرف حرسه بعد إساءته لهم حيث ذكر في الكتاب: "ودب بعضهم الى بعض وتعاقدوا على قتله فما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب في مصلاه .... "[2].

❖ بعض من أخبار بشر بن صفوان وولايته :

تطرق الكاتب الى ذكر بعض من أعماله حيث دامت خلافته اربع سنين ثم إن بشر ابن صفوان غزا صقلية بنفسه، توفي بالقيروان سنة 109هـ .[3]

❖ ولاية عبيد الله ابن عبد الرحمان السلمي : قدم الى القيروان 110 هـ وولى عليها وقام على أمورها في دار الإمامة.

❖ أخبار عبيد الله ابن الحبحاب مولى بني سلول :

وكان رئيسا نبيلا واميرا جليلا وكاتبا بليغا، وحافظا لأيام العرب وأشعارها ووقائعها وأخبارها ن وكان يقول الشعر وهو بنى الجامع ودار الصناعة في مدينة تونس في سنة116هـ، شهدت فترته فتنة الخوارج والبربر وكثر عددهم كذلك شهدت الاندلس ثورة البربر[4].

❖ إمرة حنظلة بن صفوان الكلبي :

ذكرت فيه أحداث المعارك مع البربر و الخوارج الصفرية حيث يقول :"حتى زحف اليه عكاشة الصفري الخارجي بجمع عظيم من البربر، وقد كان حين انهزم من المكنسة في قبائل البربر... وزحف أيضا حنظلة عبد الواحد يزيد الهواري في عدد عظيم ...وهزم الله عكاشة و أصحابه ،فقتل من البربر مالا يحصى كثرة...". [5]

❖ ولاية عبد الرحمان ابن حبيب وأخباره :

بعد هروبه الى الاندلس بعد هزيمة كلثوم ابن عياض في الوقعة التي قتل فيها أبوه، خرج ورجع الى تونس فنزل بها واخذ يدعوا الناس فأجابوه وتنازل حنظله اليه وحكم إفريقية كما يقول الرقيق في كتابه : " ولم يتهيأ له فخرج متسترا ، فركب البحر الى تونس فنزل بها وذلك في شهر جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومائة، فدعي الناس الى نفسه فأجابوه فصار حتى نزل بسمنجة ... " [6]

---

[1]- الرقيق القيرواني،المصدر السابق، ص64 .

[2]-نفسه، ص64 .

[3]- نفسه، ص 65 .

[4]- نفسه، ص68 .

[5]- نفسه، ص71 .

[6]- نفسه، ص 74 .

❖ ولاية يزيد ابن حاتم ابن قبصيةابن الملهب :

عرف بجوده وكرمه وشجاعته ، حيث قدم الى إفريقية وازال عنها الفساد وأصلحها ورتب القيروان في أسواقها وصناعاتها وجدد بناء المسجد الجامع وزاد في قدرها وكان شديد الشبه بجده الملهب في حروبه وذكائه حيث يذكر الكاتب : " وكان يزيد ابن حاتم حسن السيرة بإفريقية ... " .[1]

❖ ولاية داوود ابن يزيد ابن حاتم :

بعد مرض يزيد استخلفه ابنه داوود فانتفض عليه امر البربر وقتل منهم عشرات دامت ولايته على إفريقية 7 أشهر وكان ابرز القادة عند الرشيد عندما ذهب الى المشرق كما ذُكر : " وصار داوود الى المشرق فكان اجل قائد عند الرشيد وولاه ولايات كثيرة، وولى مصر سنة اربع وسبعين مائة، ثم ولاه السند ..." .[2]

❖ أخبار روح ابن حاتم ابن قبصية ابن الملهب :

ثم وجه هارون الرشيد روح ابن حاتم الى المغرب وحجب ابا جعفر المنصور في أول أيامه ثم ولاه البصرة، وولى الكوفة في ايام محمد المهدي، وولي السند وطبرستان وقلسين وولايات أخرى كثيرة .

❖ بعض من أخبار رَوح بإفريقية :

وصل الى القيروان في سنة 171هـ وكان شيخا حازما قد حلب الدهر أشطره وذهب أكثر عمره في إمارة يديرها وحرب يخوضها .

❖ ولاية نصر ابن حبيب المهلبي :

ولي نصر سنتين وثلاثة أشهر فعدل وحسن سيرته، ووصف بعدله كما يذكر في الكتاب : " وكان لم يعدل أحد قبله بمثل عدله ، وكانت ولايته لعشر باقين من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة " [3]

❖ ولاية الفضل ابن روح ابن حاتم :

بعد عزل نصر على إفريقية من طرف الرشيد قدم الفضل في سنة 171 هـ ورحبوا به الناس واستبشروا بقدومه .

❖ ولاية محمد ابن مقاتل ابن حكيم العكي :

قدم الى القيروان في سنة 181هـ في شهر رمضان وتولى أمورها كما ذكر الكاتب : " ولم يكن محمود السيرة، فاضطربت أموره واختلف جنده ، ولم يكن من قبح سوء رأيه وسيرته وقبيح ما يأتي من اخباره إلا إقدامه على عابد زمانه ..." [4].

---

[1]- الرقيق القيرواني، المصدر السابق،ص89.

[2]-نفسه، ص99 .

[3] - نفسه، ص107.

[4] - نفسه، ص 125.

❖ هرثمة ابن الأعين :

عرف بحسنه للناس ، بنى القصر الكبير بالمنستير وقام أيضا بالبناء سور مدينة طرابلس، قدم الى القيروان في سنة 177هـ في شهر ربيع الآخر حيث يقول : " وهو الذي بنى القصر الكبير بالمنستير وذلك سنة 180 هـ على يد زكرياء ابن قادم وبنى أيضا سور مدينة طرابلس مما يلي ..." [1]

❖ ابتداء دولة بني الأغلب :

ولاية إبراهيم ابن الأغلب ابن سالم التميمي : كان إبراهيم ابن الأغلب فقيها دينيا عالما شاعرا خطيبا ، حسن السيرة دخل القيروان وقام على امورها في دار الإمامة والمسجد الجامع، وخاض معارك كثير خلال حكمه[2] ، دخل الى القيروان كما ذكر : " وأقبل إبراهيم يريد القيروان وعلى مقدمته عمران ابن مخالد، فلما علم بذلك تمام خرج هاربا الى تونس ولما وصل ابراهيم دخل المسجد، فصعد المنبر واجتمع اليه الناس .." [3] .

❖ ولاية أبي العباس عبد الله ابن إبراهيم ابن الأغلب التميمي :

لما مات إبراهيم ابن الأغلب انتقلت الولاية من بعده لابنه أبي العباس عبد الله وكان غائبا – بمدينة طرابلس – فقام اخوه زياد الله بالأمر واخذ له البيع على نفسه وعلى اهل بيته وجميع رجاله ، وقدم ابو العباس من طرابلس فالتقى اخوه زياد الله وسلم الأمر اليه .[4]

3-2 مصادره :

من خلال ما تم دراسته فإن كتاب تاريخ إفريقية والمغرب سجل أحداث الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الى سنة 417هـ ، ومن هنا يتضح أن الرقيق القيرواني قد عمل ثلاث سنوات على كتابة تاريخه الكبير مسجلا حتى احداث معاصريه[5]، إذ ذكر الاحداث التي عاشها ، ماعدا الثلاث السنوات الاخيرة من حياته ، وتجعل من هاذه الفترة الطويلة اول مؤرخ – إلى عهده – يكتب تاريخ المغرب بهذا الأسلوب وبهذا الحجم[6].

2-4-منهجه:

بالحديث عن منهج الرقيق القيرواني فإنه لم يذكر كثيرا في المصادر حيث أنه غامض ويقول في هذا الشأن الدكتور علاوة عمارة في مقاله : " فإن منهج الرقيق القيرواني يكتفه بعض الغموض ، فتاريخ الرقيق القيرواني نجده مذكورا في كتب التاريخ المغربية منا

[1]- الرقيق القيرواني، المصدر السابق ، ص126.
[2]- نفسه ، ص 129 .
[3]- نفسه ، ص 133
[4]- نفسه ، ص142 .

والمشرقية ولكن هذه الكتب لا تشير الى وجود منهج إبداعي في كتابة التاريخ لدى مؤرخ القيروان " [1]

نلاحظ أن كتاب " تاريخ إفريقية والمغرب " يندرج ضمن تقاليد الكتابة التاريخية للمدرسة القيروانية والمتمثلة في ادراج الاحاديث الشعبية المروجة والمنسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم حول أفضلية سكن المغرب ، هذه التقاليد نستطيع إدماجها في ما نسميه بأدب الفضائل الذي هو تفضيل سكنى قطر على الأقطار الاخرى [2] .

[1]- الدكتور علاوة عمارة، المرجع السابق،ص131 .

[2]- نفسه، ص140.

المبحث الثاني: المذهب الخارجي ودوره السياسي ببلاد المغرب

1- تعريف الخوارج ونشأتهم.

2- المذهب الإباضي ودوره السياسي .

3- المذهب الصفري ودوره السياسي.

يعتبر القرن الاول من الهجرة لبلاد المغرب، مرحلة فتوحات ودعوة الى اعتناق الدين الإسلامي في أواسط البربر، حيث كانت القيروان بمسجدها الجامع الذي شيده عقبة ابن نافع (50هـ-55هـ) منارة علمية لسكان افريقية والمغرب الإسلامي، فقد وفد إليها – أي القيروان- عدد كبير من الصحابة والتابعين، ساهموا في نشر الدين الإسلامي وتفقيه الرعية من سكان البلاد أمر دينهم.

إلا انه مع مطلع القرن الثاني هجري تغيرت الأوضاع في المنطقة، واشتكى الناس من جور الولاة الأمويين وجعلهم يثورون عليهم مثلما قاموا مع يازيد ابن ابي مسلم الذي ثاروا عليه وقتلوه (102هـ/722م) وجعل من بلاد المغرب الإسلامي بيئة خصبة لتقليل أفكار الخوارج الإباضية والصفرية) التي تناهض جور الولاة، وتحرض على الخروج عليهم.

1- تعريف الخوارج ونشأتهم

- لغة: جمع خارجي : أي منفصل .

- اصطلاحا: أما اصطلاحا فتعددت تعاريف العلماء له، فمنهم من يعرفه أنه : كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة، يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في ايام الصحابة على الأئمة الراشدين او كان بعدهم على التابعين بإحسان في كل زمان . [1]

أما الأشعري صاحب المقالات، يعرف فرقة الخوارج فيقول: يقال لهذه الطائفة " الخوارج والحرورية والنواحب والشراة " فأما الخوارج فجمع خارجي وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه وألب عليه . [2]

وتنقسم فرقة الخوارج الى سبعة فرق كبرى هي: " المحكمة الأولى، الأزارقة، النجدات،

---

[1]- الشهرستاني أبي الفتح محمد ابن عبد الكريم ابن ابي بكر أحمد، **الملل والنحل**، ج1، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع، القاهرة، (1387هـ/1968م) ، ص 114 .

[2]- الأشعري أبي الحسن علي ابن إسماعيل، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين**، ج1، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، (1411هـ/1990م)، ص 167.

الصفرية، العجاردة، الإباضية، الثعالبة" [1]

-1-1- تاريخ الخوارج : بعد مقتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه بسبب الاجتماع ثلة من رعيته من أمصار مختلفة، وقتله انقسم المسلمون الى معسكرين كبيرين، (سبب الانقسام هو الاختلاف حول القصاص من قتلة عثمان أولا، ام أخذ البيعة لعلي ابن أبي طالب ثم إقامة الحد على القتلة) فكان معسكر في الكوفة بقيادة علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ومعسكر في الشام بقيادة معاوية ابن ابي سفيان الذي كان واليا عليه من زمان عثمان ابن عفان رضي الله عنه (يطالب بالاقتصاص من قتلة عثمان أولا).

جرت بين علي بن أبي طالب وجنده معركة ضد معاوية رضي الله عنه وجنده معركة تسمى صفين وخلال المعركة ظهرت فرقة من جند علي حملوه على التحكيم، فلما أراد ان يرسل عبد الله أبن عباس رضي الله عنهما للصلح من معاوية وجنده فرفضوا ذلك أي فرقة الخوارج وقالوا هو منك (يقصدون أن ابن عباس من قرابة علي ابن ابي طالب) وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله [2]، فالخوارج حملوا عليا على التحكيم اولا، لكن لم يجري الأمر على مارضي به هو وذلك بعد التفاوض فلما لم يرض بذلك خرجت عليه وسموا خوارج وقالوا: لم حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان[3] .

وانقسمت الخوارج على فرق شتى، أبرزها سبعة فرق – كما ذكرنا سابقا – وما يهمنا هما فرقتا الإباضية والصفرية اللتان قدمتا الى بلاد المغرب الإسلامي، وقام أنصارها ببث تعاليم مذهبهما، اللذان تبلور في شكل حركتان سياسيتان شكلتا دولتين معروفتين في المنطقة (المذهب الصفري يتشكل في كيان سياسي يمثل دولة بني مدرار عاصمتها سجلماسة، والمذهب الإباضي قامت عليه حركة سياسية مثلت الدولة الرستمية عاصمتها تيهرت).

1- عبد القادر شيبة الحمد، **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**، ط4، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1433هـ، ص168 .

2- الشهرستاني، المصدر السابق، ص115 .

3- نفسه ،ص115 .

- **الإباضية:** أصحاب عبد الله ابن إباض [1]الذي خرج في أيام مروان ابن محمد، فوجه عليه عبد الله ابن محمد ابن عطية فقاتله بتبالة، وقيل إن عبد الله ابن يحي الإباضي كان رفيقه في جميع أحواله وأقواله.[2] من معتقداتهم :

* يعتبرون دار مخالفيهم من أهل القبلة دار توحيد الا معسكر السلطان فإنه دار .....

* من مذهبهم أنهم من زنى أو سرق أقيم عليه الحد ثم استتيب، فإن تاب وإلا قتل .

* لم يستبيحوا قتل النساء والأطفال .[3]

* كذلك من معتقداتهم أن مخالفيهم من اهل القبلة كفار غير مشركين، تجوز مناكحتهم وغنيمة أموالهم من السلاح و الكرام عند الحرب حلال وما سواه حرام، كما يحرم قتلهم وسبهم في السر غيلة، إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة. [4]

- **الصفرية: (الزيادية)** : اختلف أهل العلم في تسميتهم فمنهم من قال : أنهم سموا صفرية لأنهم أتباع عبد الله بن الصفار السعدي أحد الجماعة الذين كانوا مع نافع ابن الأزرق، ومنهم من قال سموا بذلك لأنهم اتبعوا زياد بن الأصفر، وقيل بسبب بصفرة ألوانهم من شدة العبادة، وآخرون قالوا سموا صفرية من الصفر أي خالون من الدين. [5] اختلفوا مع الإباضية والنجدات في امور منها : أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، إذ كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار كما انهم يرون ان التقية جائزة في القول دون العمل [6] ، وقال زياد ابن الأصفر: " أن الشرك شركان، شرك هو طاعة الشيطان، والشرك هو عبادة الأوثان، والكفر كفران، كفر بإنكار النعمة وكفر

---

[1] **عبد الله ابن إباض** : التميمي، كان إمام أهل الطريق وجامع الكلمة ولما وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات فإليه النسبة الى اليوم في العقائد، أنظر : ابي العباس احمد ابن سعيد الدرجيني، **طبقات المشائخ بالمغرب**، ج2، تح إبراهيم طلابي، ص214 .

[2] الشهرستاني، المصدر السابق، ص134.

[3] عبد القادر شيبة الحمد، المرجع السابق، ص205 .

[4] الشهرستاني، المصدر السابق ، ص114.

[5] شيبة الحمد ، المرجع السابق، ص183.

[6] الشهرستاني، المصدر السابق، ص114.

بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان، براءة من أهل الحدود سنة، وبراءة من أهل الجحود فريضة

1-2- انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب :

كانت بلاد المغرب الإسلامي تسمى إفريقية، وكانت ولاية تابعة من الخلافة الأموية الإسلامية في دمشق على معتقد أهل السنة والجماعة، وكانت القيروان هي المنارة العلمية في ذلك الوقت يأتيها العلماء من المشرق لتعليم الطلبة والناس أمر دينهم، والذين بدورهم ينشرون هذا العلم في ربوع المنطقة، لكن في خلافة هشام ابن عبد الملك وولاية عبد الله ابن الحبحاب على إفريقية (116هـ-123هـ) ظهرت أول فتنة بالمغرب [1]، وسببها سوء سير الولاة الأموين في التعامل مع البربر، فاجتمعت جموع من البربر بقيادة ميسرة المطغري وقصدوا طنجة، وكان قد بلغهم خروج طبيب بن ابي عبيدة الى بلد الروم فانتفضوا على الوالي عبيد الله بن الحبحاب بطنجة الذي كان قد اقام عمر ابن عبيد المرادي عاملا له عليها [2]فخرج اليه ميسرة وجند البربر فقتلوه ، وكان ذلك سنة 122هـ فعظم البلاء وهي أول الفتن التي كانت بإفريقية في الإسلام كما قال الرقيق القيرواني [3]وبعد ذلك قام البربر بمبايعة ميسرة المطغري بالخلافة.

وكانت دعوة الخوارج قوية فأرسل عبيد الله ابن الحبحاب الى أبي خالد حبيب ابن عبيدة ابن عقبة ابن نافع بالرجوع من صقلية، فرجع أبو خالد من صقلية وصار مع الأشراف الى ميسرة المطغري في وادي شلف واقتتلوه قتالا كبيرا [4]، وانصرف ميسرة الى طنجة وبسبب سوء سيرته قتله البربر و ولوا مكانه خالد ابن حميد الزناتي [5].

بعد قتل الخوارج (البربر) لعامل عبد الله ابن الحبحاب على طنجة (عمر ابن عبد الله

1- مبارك ابن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،ج2،تح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص57.

2- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص67.

3- نفسه، ص67.

4- مبارك ابن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 57.

5- نفسه، ص57.

المرادي) أمر ابن الحبحاب خالد ابن الحبيب الفهري بإعداد العدة والخروج لمواجهة الخوارج بقيادة زعيمهم الجديد خالد ابن حميد الزناتي، فقام خالد ابن حبيب باختيار جنده وكانوا من سادة العرب وأشرافهم فالتقوا بجند الخوارج السخرية فاقتلوا قتالا شديدا، وهزم فيها الخوارج الصفرية خالد ومن معهم من الأشراف فسميت المعركة باسم معركة الأشراف كانت عام 123هـ [1]، بعدها عين هشام ابن عبد الملك كلثوم ابن عياض سنة 123هـ مكان ابن الحبحاب، فخاض ثورة ضد الخوارج الصفرية عرفت بمعركة " بقدورة " 124هـ، كانت بمحاذات طنجة ضد خالد الزناتي قائد الصفرية، وكانت شوكة الخوارج قوية وطاغية فهزموا جند اهل السنة فقتل فيها كلثوم وحبيب ابن ابي عبيدة وسلمان ابن ابي المهاجر ووجوه العرب[2] .

أمر هشام ابن عبد الملك واليه على مصر " حنظلة ابن صفوان " [3] بالسير الى بلاد المغرب الإسلامي واستقر بالقيروان فزحف اليه عكاشة الصفري الخارجي في جمع عظيم من البربر، في نفس الوقت زحف باتجاه حنظلة عبد الواحد ابن يزيد الهواري كذلك من الخوارج [4] فرأى حنظلة ان يعجل لمقاتلة عكاشة، قبل أن يجتمع عليه فزحف الى عكاشة الصفري وقاتله بمنطقة القرن قرب القيروان وهزمه[5]، بعدها شارع الى الدخول الى القيروان لتحكيم قبضته والاستقرار بها فهجم عليه جيش الصقلية بقيادة عبد الواحد الهواري وكان بين الجندين صراع وصدام بمنطقة الأصنام (تبعد ثلاث أميال من القيروان فقتل لهذه المعركة

1- عبيد بو داوود، **ثروات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الاسلامي(120هـ/132هـ) وتداعياتها**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المركز الجامعي، معسكر، قسم التاريخ، عدد خاص، أفريل 2008، ص310.

2- نفسه، ص310.

3- **حنظلة ابن صفوان:** ولاه الخليفة الاموي هشام على المغرب سنة 124هـ مكان كلثوم، أنظر : **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، ص169 .

4- أبي العباس محمد ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح محمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/2013م، ص89 .

5- عبيد بو داوود، المرجع السابق، ص311 .

6- نفسه، ص311.

عبد الواحد الهواري وهزم جيش الصفرية[6].

وكانوا الصفرية يستحلون الدماء، وكتب بذلك حنظلة الى هشام عبد الملك، فكان الليث ابن سعد يقول: " ما غزوة كنت احب ان اشاهدها بعد غزوة بدر أحب الي من غزوة القرن والأصنام " .[1]

وفي سنة 138هـ قام البربر بإفريقية على حبيب ابن عبد الرحمان ابن حبيب، ولما قام حبيب بقتل عمه الياس هرب عبد الوارث ابن حبيب ومن كان معه الى عسكر اخيه الياس،[2] وكان إلياس لما قتل اخاه وجه بطاعته من وجوه الناس الى ابي جعفر المنصور، ولما وصل عبد الوارث ومن معه الى ورفجومة من نفزة، نزلوا على عاصم ابن جميل الورفجومي فكتب اليه حبيب بأمره بان يوجه لهم اليه فلم يفعل عاصم ذلك الامر، فاعد له الحبيب العدة وزحف اليه واقتتلوا وانهزم جيش حبيب ودخلت ورفجومة مع الخوارج، القيروان فاستحلوا المحارم وقتلت قبيلة نفزة عام 140هـ[3] .

بعد مقتل حبيب وعاصم تغلبت القبائل الصفرية (ورفجومة) ودخلوا مدينة القيروان وافسدوا فيها كثيرا كما ذكرنا سابقا، فبلغ ذلك الخبر الى زعيم الخوارج الإباضية بطرابلس ابو الخطاب السمع ابن عبد الاعلى المعافري، فغضب من ذلك الفعل الشنيع وحضر جيشه قاصدا القيروان لمواجهة الخوارج الصفرية[4]، وفي سنة 150هـ ثار الحسن ابن حرب الكندي على والي القيروان، وكان يومئذ واليها الأغلب ابن سالم التميمي الذي ولاه المنصور امر إفريقية وأمره بالعدل في الرعية وحسن السيرة في الجند وتحصين مدينة القيروان، وخندقتها وترتيب حرسها ومن يترك فيها إذ رحل الى عدوة وغير ذلك من اموره، فأقتتل الاغلب ابن سالم التميمي مع الحسن الكندي، وقام هذا الاخير بقتل الأغلب ابن سالم.[5]

1- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص72 .

2- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص102 .

3- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص81.

4- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص103.

5- نفسه، ص108.

بعد وفاة الاغلب التميمي جاءت ولاية عمر ابن حفص قبيصة بإفريقية، وكانت ولايته عام151هـ فسار الى منطقة الزاب واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب بن يزيد بن المهلب، فخلت إفريقية من الجند وثار بها البربر، فقصدهم حبيب لمقاتلتهم فهزموه واشتدت الفتنة بإفريقية واشتعل نارها [1]، وكان عمر ابن حفص في الزاب ومعه 15 الف جندي فزحف اليه الخوارج الصفرية من فيهم ابو قرة في (40 الف من الصفرية) وعبد الرحمان ابن رستم في 15 الف من الاباضية فلم يستطيع مواجهتهم عمر ابن حفص [2]، فبدأ يستميل بعض امرائهم لينصرف بعضهم عن بعض ومن ذلك انه دفع الى ابن ابي قرة أربعة الاف درهم وأثوابا على ان يعمل على صرف ابيه [3].

قدم ابو الخطاب الى مدينة القيروان وقام بالاقتتال مع قبائل ورفجومة الصفرية وولى عليها عبد الرحمان ابن رستم وشرع مواليا الى طرابلس [4].

لما سمع الخليفة البغدادي ابو جعفر المنصور[5] ما حدث في إفريقية من تغلب الخوارج الصفرية على المنطقة وإحداثهم الفوضى والفساد، ولى عليها محمد ابن الاشعث الخزاعي وأرسله إليها لتخليصها في جيش قوامه 40 الف جندي وكان ذلك عام 114هـ فوصل الى إفريقية وأقتتل مع زعيم الخوارج ابو الخطاب المعافري [6]، وهزمه فسمع بذلك زعيم الخوارج الإباضية ووواليها الى القيروان بن رستم، فترك وهرب باتجاه تيهرت في المغرب الأوسط خوفا

1- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص109 .

2- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص59 .

3- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص82 .

4- بن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص104 .

5- **أبو جعفر المنصور**: عبد الله ابن محمد ابن علي ابن عبد الله ابن عباس، ولد 95هـ عهد للخلافة العباسية من اخيه، تولى الخلافة من (136هـ-158هـ)، انظر :**تاريخ الخلفاء** ، عبد الرحمان ابن ابي بكر جلال الدين السيوطي، تح حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1 2004م ، ص193 .

6- **ابو خطاب المعافري**: (ت 144هـ/761م)، عبد الاعلى ابن السمح المعافري الحميري اليمني، زعيم الإباضية استولى اول امره على طرابلس الغرب سنة 140 هـ، حكم افريقية كلها ، ابتداء من 141هـ قتله بن الاشعث أنظر : الأعلام ، خير الدين ابن محمود ابن محمد ابن علي الزركلي ،ج3، ط5 ، دار العلم الملايين، 2002، ص269 .

من بن الأشعث وجند (اهل السنة) الذي دخل القيروان وخلصها من قبضة الخوارج

حاول الخوارج انتزاع إفريقية لسوء سياسة عبد الرحمان بن حبيب الفهري وآله، ولكن أهل إفريقية نجحو في التمسك بوحدة قطرهم المذهبية والفكرية، فثبتت إفريقية بفضلهم لمحاولة الزعيم الخارجي ابي الخطاب عبد الاعلى ابن السمح المعافري، الذي دخل القيروان مع الخوارج الإباضية قادمين من طرابلس بحجة إنقاذها من الخوارج الصفرية وانتهى الامر بقتل ابي الخطاب المعافري 144هـ [1]، وخروج مذهب الخوارج من القيروان، وانتصار المذهب السني وتعزيزه في نفوس الرعية بقيروان بقيادة ابن الاشعث.

فرد الصفرية الى بلدهم فلم يعلم بذلك ابو قرة حتى ارتحل العسكر، منصرفين الى بلادهم ولم يجد بدا من اتباعهم فلما انصرفت الخوارج الصفرية، وجه عمر ابن عيسى العبدي الى ابن رستم، وهو في تهودة في 15 الف، واقتتلوا وانهزم عبد الرحمان ابن رستم (الإباضية) فولى وانصرف باتجاه تيهرت[2]، وفي أيام عمر بطبنة وغيابه عن القيروان قدم ابو حاتم يعقوب المغيلي لحصار القيروان وقد بايعته إباضية طرابلس بالخلافة[3]، فأرسل المنصور يازيد ابن حاتم المهلبي، لكن عمر ابن حفص قتل قبل مجيئ يازيد اخر سنة (154هـ/771م) ثم توجه ابو حاتم تلقاء يازيد المهلبي بطرابلس فقتل هناك سنة (155هـ/772م)[4].

وفي سنة 157هـ ثارت ورفجومة فحاربها يزيد ابن حاتم وانتصر عليها، ثم سنة 161هـ ثارت كذلك قبيلة نفزاوة التي كانت على المذهب الإباضي، وكان اميرها هو صالح ابن نصير فسرح عليهم داوود ابن يزيد عدد من جنده حوالي 10 آلاف فاقتتلوا معهم وهزموهم[5]

2- الدور السياسي للمذهب الإباضي:

2-1- نشأة المذهب الإباضي وقيام الدولة الرستمية :

1- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص87.

2- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص82.

3- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص59.

4- نفسه، ص59.

5- نفسه، ص59.

تنسب الإباضية لعبد الله ابن إباض من بني مرة من بني تميم، واين اباض هذا من طبقة التابعين فقد عاصر الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان (ت86هـ) وهو من رؤوس الخوارج[1]، في البداية كانت الإباضية مثلها مثل فرق الخوار الأولى لكن ابن إباض استقل عن فرق الخوارج حينما خالفهم في مسألة الحكم على المخالفين (كانت الإباضية تشكل حركة مذهبية سياسية معارضة لخلفاء بني امية)[2].

كانت بدايتهم في القرن الاول للهجرة في البصرة وخرسان، ومع بداية القرن الثاني للهجرة امتد الفكر الإباضي الى منطقة شمال الافريقي(المغرب الاسلامي)، وبالتحديد الى منطقة طرابلس حيث تعتبر القاعدة الاولى للخوارج في منطقة المغرب الاسلامي حيث قام الاباضيون بثورة ضد خلفاء بني امية وولاتهم الفهريين في بلاد المغرب، وقادت هذه الثورة الحارث ابن تليد الذي بويع اماما وعبد الجبار المرادي، الذي عين قاضيا فأنزل هزيمة بعامل عبد الرحمان ابن حبيب في طرابلس وطرادة ، وعاثوا في طرابلس فسادا ما جعل عبد الرحمان ابن حبيب يتبعهما حتى أخضع ثورتهما وعين على طرابلس واليا هو عمر ابن سويد المرادي[3]، بعد هذا ادرك العالم الإباضي " ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة " ان تحقيق اهداف حركته الاباضية والمتمثل في اقامة كيان سياسي لبلاد المغرب طبقا لأصول وفروع المذهب الإباضي تكون بالنشاط الحركي والعمل الدعوي فبدأ بالتعليم والبيان لصالح مذهبه وعدم الاستعجال لكسب انصار لتدعيم مذهبه [4].

استقر ابو عبيدة وعكف عن تخريج اكبر عدد ممكن من الدعاة وحملت الفكر الإباضي(حملة العلم) بعدها قام بإرسالهم لمنطقة المغرب الاسلامي لنشر فكره وكان

1- ناصر العقل، **الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام**، ط1، دار إشبيليا الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1998م، ص59 .

2- نفسه، ص68.

3- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص168.

4- سبع قادة، **الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي(أسسه ومجالاته)** ،شهادة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران،(1436 -1437هـ/2014-2015م)، ص162.

اشهرهم خمسة دعاة : "ابو الخطاب عبد الاعلى ابن السمح المعافري، عبد الرحمان ابن رستم، عاصم السدراتي، اسماعيل ابن درار الغدامسي و أبو داوود القبلي النفزاوي

قام هؤلاء الدعاة بمرحلة الدعوة وبث الفكر الخارجي أواسط العامة [1]، حيث استطاعوا كسب قلوبهم وإقناعهم بأفكارهم الخارجية، فشرعوا بعدها في إنشاء كيانات سياسية قائمة على المذاهب الخارجية (الصفري و الاباضي)[2]، حيث قام الاباضيون في طرابلس[3] سنة 140هـ بمبايعة إمامهم و زعيمهم عبد الاعلى بن السمح المعافري، ثم امتد نفوذه إلى القيروان و برقة و فزان، ولم يخضع للدولة العباسية و أعلن الخروج عليها، لكن بعد فتنة الخوارج ارسل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الى بلاد المغرب ومواجهة المعافري، الذي قتل الوالي محمد بن الاشعث سنة 144هـ، فعلم بذلك عبد الرحمان ابن رستم، فترك قيروان وفر الى بلاد المغرب الاوسط فالتجأ الى منطقة سوفجج (منطقة جبلية في الجنوب الغربي لمدينة تيهرت)، وحيث هنالك قبائل لماية ولواتة التي لها صلة قوية بالمذهب الإباضي فبايعوا عبد الرحمان ابن رستم بالإمامة سنة (160هـ/776م)

في سنة (160هـ/776م) بايع رؤساء الإباضية وفقهائهم عبد الرحمن بن رستم على الإمامة وفق تعاليم المذهب الخارجي الإباضي، فكانت بذلك دولة سياسية مستقلة في المغرب الأوسط وفق المذهب الإباضي، وشرع في بناء مدينة تيهرت واستشار في ذلك اهل الخيرة والعلم وأشاروا عليه بالموقع الذي بنيت فيه، وذلك احصن المنطقة وموقعها المتميزة التمرك

في وسط المغرب الأوسط وبعيد عن خطر العباسيين من الجهة الشرقية، كما أنها وسط القبائل البربرية المؤيد والداعمة للمذهب الإباضي، كما أنها تتمتع بمراعيها الواسعة وثرواتها الزراعية المتنوعة، لما نزلت الإباضية تيهرت وأرادوا عماتها اجتمع رؤسائهم فقالو قد علمتم

1- سبع قادة، المرجع السابق، ص162.

2- نفسه، ص162.

3- **طرابلس**، تقع على البحر الشامي، وفيها مرسى عظيم فيه ألف مركب وأهلها من قريش نقلها إليهم معاوية ابن أبي سفيان، أنظر، إسحاق ابن حسيم المنجم، **أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ، ص96.

انه لا يقيم أمرنا إلا الإمام نرجع اليه احكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا فاجتمع رؤوس القبائل واختاروا عبد الرحمان ابن رستم لأنه لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له، وقد ارتضاه الإمام ابو الخطاب فبايعوه[1]، وكذلك يذكر ابن خلدون :"لم بلغ عبد الرحمن بن رستم أن ابن الاشعث قد أوقع بأبي الخطاب وجنده سنة 144هـ قام بالفرار مع والده إلى المغرب الأوسط فنزل على قبيلة لماية فاجتمع وا اليه وبايعوه، وشرع في بناء مدينة تيهرت على سفح الجبل سنة 144هـ[2].

يعتبر عبد الرحمان ابن رستم المؤسس الحقيقي للدولة الرستمية والتي إقامتها وفق المذهب الإباضي، فقد أصبح يضرب به المثل في تسيير البلاد والالتزام بقواعد مذهبه، وقد شاع العدل في رعيته على المستوى الداخلي للإتزامه لتعاليم المذهب الإباضي، اما خارجيا فقد كانت الدولة الرستمية في عهده علاقات خارجية مع الكيانات السياسية الموجودة في بلاد المغرب في تلك الفترة الزمنية (الصفرية، ودولة الأغالبة)

في آخر أيام عبد الرحمان ابن رستم أحس بدنو أجله فاقتدى بالخلفية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فجعل الإمامة شورى بين سبعة من رجال الدولة الرستمية، ممن توسم فيهم الصلاح والعلم وهم: "عبد الوهاب بن عبد الرحمان ابن رستم، مسعود الأندلسي أبو قدامة بن يزيد بن قندين اليغرني، عمران بن مروان الأندلسي، ابو الموفق سعدون بن عطية، وشاكرين صالح الكتامي ومصعب بن سمدان" وفي هذا دلالة على تمسك ابن رستم بتعاليم المذهب الإباضي الخارجي وتوظيفها في الجانب السياسي، فأوصى هؤلاء السبعة في التشاور بينهم واختيار الأفضل بينهم الذي يصلح لمنصب الإمامة[3]، فتوفي ابن رستم عام (171هـ/787م) ،والذي كان من بينهم انه عبد الوهاب الذي وقع عليه الاختيار وتمت له البيعة بدون ان تثير جدلا بينهم [4] .

1- ابن الصغير المالكي، **أخبار الأئمة الرستميين وسيرهم**، دار الغرب الإسلامي، ص26.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص159 .

3- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 108.

4- أحمد الياس حسن، **الإباضية في المغرب العرب**، ط1، كلية التربية، جامعة الخرطوم، مكتبة الظامري،1416هـ/1996م، ص45 .

-2-2- عبد الوهاب ب عبد الرحمان ابن رستم(موطد الدولة الرستمية) (171هـ-211هـ)(787م-826م):

كان عبد الوهاب يبلغ من العمر 52 سنة حين مبايعه خلفا لأبيه على رأس الدولة الرستمية، وكان قد اكتسب خبرة سياسية من خلال ملازمته وصاحبته لوالده في تسيير أمور الدولة لكن فترة حكمه لم تسلم من الثورات السياسية التي قام بها رعيته ضده، لما رأوا انه أسند مهام لأناس ليسوا اهلا لها[1]، هذه الظروف السياسية (داخليا وخارجيا)جعلت الإمام عبد الوهاب يعتمد سياسته الخارجية عل المسألة، وهذا ما قام به حين وادع والي إفريقية روح ابن حاتم وابرم معاهدة سلم معه في عام 171هـ/787م، وظل الهدوء سائدا في الدولة الرستمية حتى توفي الإمام عبد الوهاب [2].

2-3-افلح ابن عبد الوهاب (211-240هـ)(822-854م):

الإباضية في مذهبهم لا يرون مبدأ توريث الحكم واقتصاره، في جنس معين إنما من كانت له الأهلية في تقلد هذا المنصب وفق مذهبهم تم تعيينه، لكن لا نرى حدوثه مع افلح فهو قد عين بعد موت ابيه، فكان بذلك الأمر وراثيا لكن سبب تقلده الحكم خوفه من حدوث فتنة ومشاكل في الدولة والاقتتال من أجل الحكم، فتولى الإمامة بعد ابه عبد الوهاب.

كما أنه كان يمتلك علما وشجاعة سمحتا له بتولي المنصب [3] ،حيث شارك مع ابيه في محاربة الواقلية، وقد عرفت فترة حكمه نشاطا تجاريا وعلميا، حيث توسعت التجارة معا بلاد السودان خاصة مع مملكة كوكو اما علميا فقد امتلأت مساجد تيهرت بطلاب العلم، وكان دور كبير للمرأة في الحياة الثقافية،

1- الحريري، المصدر السابق، ص113.
2- فطيمة مطهري، **مدينة تيهرت الرستمية دراسي تاريخية وحضارية(القرن2-3هـ/8-9م)**، مذكرة ماجيستير، كلية العلوم
الإنسانية ،قسم التاريخ والاثار، **تاريخ المغرب الإسلامي**، جامعة ابي بكر بلقايد ،تلمسان، ،2010/2009، ص73 .
3- الحريري، المصدر السابق، ص143.

فقد كانت اخت الإمام افلح ممن نبغن في علم الحساب والفلك والتنجيم[1].

2-4- مظاهر الحضور المذهبي للفكر الإباضي في الحياة السياسية :

لقد قامت الدولة الرستمية وفق تعاليم المذهب الإباضي ،الذي ظهرت تعاليمه وتجسدت أفكاره في الجانب السياسي للدولة ومن تلك المظاهر التي برز فيها الحظور المذهبي للفكر الإباضي نذك:- مسألة الخلافة :فهذه المسألة المهمة انقسمت فيها أقوال الفرق الاسلامية إلى ثلاث أقوال، الاتجاه الأول يقولون ان الخلافة محصورة في آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم يتوارثونها اما أصحاب الرأي الثاني فيقولون أن الخلافة تكون في قريش، بينما الرأي الثالث (الخوارج) فيقولون أن الخلافة شورى بين المسلمين يتولاها الأصلح بينهم ويكون من اهل التقوى والصلاح، وعلى هذا المبدأ أسست الإمامة الإباضية التي اشترطت ان يكون الخليفة من المسلمين الإباضية واشترطوا فيه الإسلام والعدل والحرية، فقاموا في البداية بعقد مجلس شورى ضم رؤوس القبائل الإباضية وفقهائها لاختيار الحاكم فوقع الاختيار على عبد الرحمان ابن رستم لإمامة الدولة .[(2)]

كذلك من الآثار السياسية للمذهب الخارجي الإباضي، تطبيق مبدأ وجود إمامين في وقت واحد، فقد تولى الحارث بن تليد وعبد الجبار قيس المرادي امامة الإباضية في طرابلس سنة (132هـ/750م) فكان احدهم يؤمهم في الصلاة والآخر للحرب [(1)]،كذلك مشابهتهم لنظرية الشيعة في موضوع الإمامة الظاهر والأمانة المستترة، فقد فرق فقهاء المذهب الإباضي بين إمامة الدفاع وامامة الظهور، إذ حيثما يتعرضون لأزمات ومحن سياسية يختارون إماما في الخفاء تكون مهمته جمع امر الأنصار وتسيير أمورهم والفصل في قضاياهم، وإعداد العدة للظهور اذا ما وأتت الظهور، وهذا ما حدث لما قتل ابا الخطاب المعافري 142هـ الوقت

[1] – فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص73.

[2] – حدة عرسلان، **مجتمع المغرب الأوسط في العصريين الرستمي والفاطمي –دراسة تاريخية مقارنة–**، مذكرة ماستر، تخصص وسيط، جامعة لمسيلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم تاريخ، 2014/2013م، ص30.

الذي كان فيه عبد المؤمن بن رستم بعد العدة لإمامة الظهور[1].

كذلك نظام الجباية والصدقات ونواحي إنفاقها كل ذلك يجري حسب شرائع المذهب الرستمي الإباضي ووفقا لتعاليمه[2]، وايضا من المظاهر السياسية، وجود عملة نقدية خاصة بالدولة الرستمية منذ عهد مؤسسها الأول عبد الرحمان ابن رستم، فالعمل رمز من رموز السيادة والاستقلال ما يوضح ان الدولة الرستمية والمذاهب الإباضي، هو تيار ديني سياسي معارض الخلافة العباسية [3]، المذهب الإباضي اعدل فرق الخوارج سواء في الحروب او معاملة الخصوم، فكانوا لا يقاتلون أعدائهم الا بعد إقامة الحجة عليهم، كما لم يتبعوا المدبر ولم يجهزوا على الجرحى ولم يخربوا الزرع وتعففوا عن الغنائم من غير السلاح والعتاد، فظهرت تعاليم مذهبهم في حروب الحارث وعبد الجبار في طرابلس ومعاملة ابي الخطاب المعافري القيروانيين، ومعاهدة ابي حاتم الملزومي مع جميل بن صخر .[4]

كذلك احترم ابن رستم والتزم بتعليم مذهبه في سياسته الداخلية في دولته، فقد استفاد من خبرة الفرس لكن لم يسمح لهم بأي تفوق سياسي او تمييز اجتماعي، فكان عماله وقضاته وأصحاب شرطته، ممن يثق في عملهم وصلاحيتهم وكان نظام الجاية والصدقات يعمل حسب تعاليم مذهبهم [5]، ومما يدل على احترام بن رستم تعاليم المذهب ما قام به عندما وصلته أموال الخوارج في المشرق، قام بالاجتماع برؤساء القبائل وشيوخ المذهب في المسجد الجامع، وإنفاقه الأموال وفق لنصيحة أهل الرأي "الثلث في الكراع، وثلث في السلاح وثلث في فقراء المسلمين" [6]، كذلك برزت تعاليم المذهب الإباضي في العلاقات الخارجية للدولة

---

[1] – محمد إسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب حتي منتصف القرن4هـ،ط2**،رسالة دكتوراه، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،1406هـ/1985م، ص260.

[2] – نفسه، ص260.

[3] – عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص23.

[4] – محمد إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص260.

[5] – نفسه، ص261.

[6] – نفسه، ص263.

بين فترات السلم والحرب والقوة والضعف.

2-5- العلاقة السياسية بين تيهرت والقيروان :(144-296هـ/ 761-909م)

تميزت العلاقة بالدعاء بين الطرفين، فقد قام محمد بن الاشعث بالقضاء على الإمامة الإباضية في القيروان مما حتم على ابن رستم الفرار إلى المغرب الأوسط [1]، كذلك الثورات الإباضية في القيروان، منها خروج هاشم بن اشناخنج الفرسان ضد محمد بن الاشعث وتمكن من طرده، ومحاربة ابوقرة المغيلي الخارجي للأغلب بن سالم، كما لم يخل عهد عمر بن حفص (151هـ-154هـ) من الاضطرابات فاستولى الإباضية على القيروان ولم ينقذها منهم إلا يزيد بن حاتم دورا في سياسية المسالمة التي كانت بينه وبين ابن رستم، فتركه وشأنه فحافظوا على السلم وحسن الجوار وكانت معاهدة مبرمة بين الطرفين [2].

2-6- علاقة الرستميين بالأغالبة:(184-296هـ/800-908م)

تعد الدولة الاغلبية الجار الاقوى لحدود الدولة الرستمية من الجهة الشرقية، لهذا اتبع الرستميين سياسة التعايش السلمي معهم في أغلب الأحيان، وذلك لما تربطهم من روابط ومصالح مشتركة، فقد عقد اول اتفق لتقرير مبدأ التعايش السلمي بين الطرفين سنة (197هـ/813م) حين اضطر عبد الوهاب ابن عبد الرحمن ابن رستم إلى الاصطدام معا الأغالبة دفاعا عن رعاياها من قبيلة هوارة، حيث دلت النصوص على احترام الأغالبة لحقوق الرستميين وامتدادهم الجغرافي، ومن ذلك احترام لنطاقهم الرعوي الداخلي في منطقة طرابلس، كذلك احترام الرستميون حاجة الأغالبة للشريط الساحلي لطرابلس في اتخاذهم البحر المتوسط ميدانا للجهاد ضد الروم ونشر الإسلام[3]، وفي عهد الإمام افلح الرستمي قام بتخريب مدينة العباسة التي بناها محمد بن الاغلب (226هـ-242هـ) وذلك لأنها كانت

1- محمد إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص263.

2- نفسه، ص263 .

3- جودة عبد الكريم يوسف، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص73 .

قريبة من مدينة تيهرت، فكانت معارضة وضارة بالنشاط الاقتصادي لمدينة تيهرت [1]، كانت في الدولة الرستمية مذاهب غير مذهب الإباضية، منها المذهب المالكي الذي كان يمثل الدولة الاغلبية والخلافة العباسية عموما، وقد انتقل المذهب المالكي إلى تيهرت عن طريق الحج والتجار وبواسطة علماء ماليين قدموا إليها للإقامة او مروا بها، وقد وجد بها العرب والجنود القرويين ويبدو انهم كإنو يشكلون نسبة كبيرة، وهذا ما أشار اليه ابن الصغير المالكي فقال" حتى لاترى دار الا وقيل هذه لفلان الكوفي وهذا الفلاني البصري، وهذا الفلاني القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم" إشارة إلى كثرة القرويين [2]، كما حرص الأغالبة إلى مقاطعة الدولة الرستمية تجاريا وثقافيا، ألا بعض العلاقات التي كانت بين الرعية، لكن على العموم كانت هنالك صلات ثقافية بين تيهرت والقيروان تمثلت في علماء الذين انتقلوا من تيهرت إلى القيروان لأخذ العلم الشرعي عن علماء القيروان منهم على سبيل المثال بكر بن حماد الذي اخذ العلم عن سعد التنوخي وعون بن يوسف الخزاعي .[3]

3- المذهب الصفري ودوره السياسي

3-1- نشأة سجلماسة : مدينة متوسطة الحجم، حسنة الموقع، تقع في قلب الصحراء على حدود المغرب الجنوبية الشرقية من طرف بلاد السودان الغربي في آخر مرحلة اتجاه الطريق الصحراوي[4] ، اما حدودها فقد شملت على مناطق درعة كما ضمت كل المناطق الشمالية جنوب الأطلسي الكبير في جنوب المغرب الأقصى، وامتدت جنوبا إلى قلب الصحراء مما جعل رقعتها واسعة [5].

---

[1] – جودة عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص73.

[2] – فيراس سليم حياوي ومحمد عيسى حميد، **الدولة الرستمية وعلاقتها الخارجية (160هـ- 226هـ)**، (776م- 908م)، مجلة التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 10، 2013، ص171.

[3] – نفسه، ص171.

[4]- فوزية لزغم، **الدور التاريخي الحضاري لمنطقة تيارت، المجلة الخلدونية**، جامعة ابن خلدون، تيارت، عدد خاص، اكتوبر 2009، ص62

[5]– فيراس سليم حياوي ومحمد عيسى حميد، المرجع السابق، ص172.

3-2- قيام الدولة الصفرية :

بعد انتهاء خلافة عمر ابن عبد العزيز، بدأ يظهر الجور والظلم فظهر تيار الخوارج كتيار سياسي معارض، بدا في المشرق ثم انتقل الى المغرب، أقام الخوارج في بلاد المغرب العديد من الثورات ضد ولاة الخلافة الإسلامية، فساهمت هذه الثورات المتعددة، ساهمت في بروز كيانات سياسية مستقلة، قائمة على عصبية مذهبية ومن تلك الدويلات الدولة الصفرية بسجلماسة، فقام الرعية باختيار عيسى بن يزيد كإمام لهم يؤمهم في الصلاة ويقودهم للجهاد، كما يدير شؤون الدولة ويحكم الرعية[1] ، بعد وفاته اجتمع الخوارج الصفرية وعقدوا البيعة على شيخهم ابو القاسم سمكو بن واسول مؤسس مدينة سجلماسة ونصبوه أماما لهم خلفا لعيسى بن يزيد وقد كان رجلا محمود السيرة ورعا من كبار علماء الخوارج الصفرية[2] ، قال ابن خلدون متحدثا عن الصفرية في سجلماسة :"فلما اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالهم، نفضوا طاعة الخلفاء وولوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب و رؤوس الخوارج" [3]. (أنظر الى الملحق رقم3)

كذلك ذكر :ثم سخطوا اميرهم عيسى ونقموا عليه كثيرا من احواله، فشدوه كتافا ووضعوه على قنة جبل إلى أن اهلك سنة 155ه واجتمعوا بعده كبيرهم ابي القاسم سمكو بن واسول بن مصلان بن أبي نزول، كان ابوه من حملة العلم[4] ، وبعد هلاك ابي القاسم سنة 167ه اجتمع الصفرية على الياس لبن ابي القاسم فبايعوه أماما لهم خلفا لأبيه لكنهم سنة 194ه انتفضوا عليه وخلعوه وقاموا بتقوليه أخيه اليسع بن أبي القاسم في مكانه، وقام بإتمام مدينة

---

[1]- ابو هريرة عبد الله محمد يعقوب، **مظاهر الحضارة في سجلماسة في عهد امامة بني واسول الصفرية (140ه-366/757م-978)**، رسالة ماجيستير في التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، إشراف محمد يوسف، 1994م، جامعة ام درمان الاسلامية، كلية الآداب والدراسات العليا، قسم التاريخ، ص26.

[2]- نفسه، ص27 .

[3]- نفسه، ص48 .

[4]- نفسه، ص49 .

سجلماسة واختط بها المصانع والقصور ثم ولى بعده ابنه المرار طالت مدته في الحكم وكان له ولدان تنازعا في الحكم مدة ثلاث سنين إلى أن اهلك ابوهما سنة 253هـ[1].

3-3- الدور السياسي للمذهب الصفري:

تجلى تطبيق تعاليم المذهب الصفري في الحياة السياسية في مظاهر نذكر منها: اختيارهم لحاكمهم على اساس الكفاءة (العلم، الفقه، الانتساب للمذهب، المواقف المشرفة) وليس على اساس الانتماء القبلي او غير ذلك، وهذا ما نلاحظه في تعيين ميسرة إماما لهم لا على اساس عرقي، وإنما لعلمه، فقد قام بثورة ضد الأمويين لان فيهم الجور وضمت ثورته جنودا من البربر والافارقة، لكنه بعد اخلاله بشروط الإمامة خلع من منصبه [2] ، ظهور فكر الخوارج السياسي لدى الخوارج الصفرية بالمغرب وهذا ما نلاحظه في حروبهم حيث اقتدوا بأهل النهر ان من حلق رؤوسهم بالحرب اتسمت حروبهم بالعنف والقوة، فكانوا يقتلون الأطفال والولدان ويستحلون سبي النساء والذراري[3].

قامت دولة بني مدار على العصبية الدينة تمثلت في المذهب الخارجي وبالتحديد الصفري فكانت من مظاهر هذا المذهب في الجانب السياسي:

- **مسألة الخلافة:** حيث سار الخوارج كغيرهم مخالفين منهج اهل السنة كون الإمام او الخليفة قرشيا بل اشترطوا الكفاءة في توليه هذا المنصب وان يكون متشبعا بتعليم مذهبهم، وهذا ما نلاحظه في أمامهم الأول عيسى بن يزيد الذي كان من الموالي ولم يكن من العرب وكذلك من جاء بعده من أئمة هذه الدولة، كذلك أن الإمام ينصب عن طريق المبايعة، وذلك بعد تشاور اهل الحل والعقد في مذهبهم على شخص يكون قادرا على تقلد هذا المنصب.

ليست لدينا المعلومات الكافية حول الدور السياسي للمذهب الصفري لكن على العموم كان الحضور المذهبي قويا في الفترة الأولى، واحترمت تعاليم المذهب في شتى نواحي الدولة

---

[1]- ابو هريرة عبد الله محمد يعقوب، المرجع السابق، ص48.

2- محمد اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص259.

3- نفسه، ص261.

سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، لكن بعد انتهاء حكم المؤسس عيسى بن يزيد الأسود وقتله سنة 155هـ برزت الثغرات العنصرية والعصابات وتحكمت في مقاليد الحكم[1]، ونظم الإدارة فقد قامت قبيلة بني مكناسة في أسرة بني مدرار، إلى جعل الملك وراثيا ودخلت في صراع مع زنوج السودان [2]، كما بلغت مخالفة تعاليم المذهب وذلك بتقوليه الأطفال والنساء مقاليد الحكم فقد تولى المنتصر سمكو بن محمد الحكم سنة(332هـ/945م) ولم يتجاوز سن الثالثة عشر من عمره تحت وصاية جدته .[3]

3-4- العلاقة السياسة بين المذهب الصفري والخلاف العباسية:

لم تعرف الخلافة العباسية بالدويلات الخارجية لبلاد المغرب، فقام الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بإرسال ولاته الى بلاد المغرب لإخماد ثورات الخوارج حيث أرسل محمد ابن الأشعث واستعمل عامله عمر ابن حفص على افريقية سنة 151هـ مع جنوده، فأحسن الى اهل البلدة واستقامت الأمور الى ان استخلف على القيروان حبيب المهلبي، فقتله الخوارج واجتمع البربر بطرابلس وولوا عليه أبا حاتم الإباضي[4].

3-5- العلاقات السياسية لدولة بني مدرار الصفرية:

- **مع الرستميين:** كانت هناك علاقة سياسية متينة، ويقال أن اليسع الأول كان إباضيا صفريا [2]،كما أنها من منبع واحد، كما تجمعهما حدود جغرافية مشتركة(سجلماسة تقع في الحدود الجنوبية الغربية للدولة الرستمية)، وقد زادت اللحمة والتقارب السياسي بعد زواج المدرار ابن اليسع (208هـ/823م) من أروى بنت عبد الرحمان ابن رستم، فسعى اليسع

1- محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص263.

2- نفسه، ص264.

3- نفسه، ص264.

4- عزالدين بن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج5، تح عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م، ص168 .

من خلال هذا الزواج الى كسب خليفة قوي[1] .

أثرت هذه العلاقات السياسية على الجانب الثقافي، حيث انتشرت تعاليم المذهب الإباضي في سجلماسة لدى رعايا وعلماء المذهب[2]، فقد كانت هناك أقلية من الخوارج الصفرية متواجدة في تيهرت لها وزنها وقد استقرت غالبيتهم في حصن " تالغمت " المشرف على مدينة تيهرت، وقد إلتزموا الهدوء والصمت ولم تعرف لهم ثورات ضد السلطة الرستمية[3]

1- أبو هريرة، المرجع السابق، ص60.

2- فيراس سليم حياوي ومحمد عيسى حميد، المرجع السابق، ص175.

3- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص62.

المبحث الثالث: المذهب المالكي وصراعه ضد مخالفيه

1- تعريف المذهب المالكي ونشأته ببلاد المغرب

2- صراعه ضد الخوارج

3- الدولة الأغلبية واحتضانها للمذهب المالكي

1- تعريف المذهب المالكي ونشأته ببلاد المغرب

المذهب المالكي هو ثاني المذاهب الإسلامية المعتمدة في الفقه الإسلامي من حيث الاعتبار الزمني، فهو يأتي بعد مذهب الإمام ابي حنيفة، ينسب – اي المذهب المالكي–إلى الإمام مالك ابن أنس الحميري أمام المدينة النبوية، إذ كان رحمه الله مدرسا للعلوم الشرعية في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يجلس إليه طلبة العلم من أنحاء مختلفة، ومنهم طلبة بلاد الغرب الاسلامي(المغرب الإسلامي والاندلس) فبلغ المذهب الآفاق، وذلك لسلامة المذهب اصولا وفروعا، وشخصية إمامه، التي جمعت بين العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة، وكذا تفاني طلبته في تبليغ علم إمامهم لغيره، فانتشر في اصقاع العالم وفي مواطن مختلفة منها إفريقية وبلاد المغرب والاندلس.

1-1- تعريفه:

يقصد بالمذهب المالكي في اصطلاح الفقهاء :"حقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الاجتهادية". [1]

كذلك هو :"ما اختص به من الأحكام الشرعية الفروعية الاجتهادية، وما اختص به من أسباب الأحكام والشروط والموانع والحجاج المثبتة لها" [2].

1-2- ترجمة الإمام مالك:

اسمه وكتبه: شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، ابو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحي الحميري.[3]

---

[1]– إبراهيم علي، **اصطلاح المذهب عند المالكية**، ط2، ، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دولة الامارات العربية المتحدة ، 1423هـ/2002م، ص22.

[2]– نفسه، ص22.

[3]– شمس الدين محمد ابن احمد ابن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج1، تح شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط2، مؤسس الرسالة، 1402هـ/1982م، ص49.

مولده: ولد عام 93ه في خلافة سليمان ابن عبد الملك بن مروان، وهذا قول يحي بن بكر، وقال بن عبد الحكم في سنة اربع وتسعين هجري .[1]

شيوخه: أخذ إمام دار الهجرة العلم عن علماء أجلاء، منهم الإمام نافع، وكذا سعيد المقبري، كذلك عامر بن عبد الله الزبير، الزهري وعبد الله بن دينار.[2]

تلاميذه ومن سمع منه: أخذ العلم عن مالك تلاميذ أجلاء نقلوا علم إمامهم منهم: محمد بن عقبة وعمر بن حسين، كثير بن زيد، وصدفة يسار المكي.

حيث قالوا عن إمامهم: يروى عن سفيان بن عيينة، أنه قال:" إن مالك لم يبق له نظير" وكذلك يؤثر عن الشافعي انه قال:" اذا ذكر العلماء فمالك النجم" [3].

1-3- مصنفاته:

أشهر ما عرف من مصنفات الإمام مالك هو كتابه "الموطأ" لكن كانت له مؤلفات أخرى رواها عنه من كتب بها إليهم، منها:

- رسالة إلى ابن وهب في التقدير والرد على القرية.
- كتاب في التفسير لغريب القرآن.
- كتاب في الأقضية كتب بها إلى القضاة.
- رسالة في الفتوى إلى أبي غسان محمد بن مطرف.
- رسالة إلى الليث بن سعد في إجماع أهل المدينة. [4]

---

[1]- أبو الفضل القاضي عياض ابن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، ج1، تح ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1965م، ص118.

[2]- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص49.

[3]- نفسه، ص57.

[4]- وحدة البحث العلمي، بإدارة الافتاء، **المذاهب الفقهية الأربعة (أئمتها- أطوارها- أصولها- آثارها)**، مراجعة احمد الكردي و 3 آخرون، ط1، دولة الكويت، 1436ه/2015م، ص65.

هذا الكلام مختصر عن إمام اهل المدينة، وإلا فالكلام عنه يطول من مآثر وغيرها، فقد كان يؤثر عنه أن فراسة لا تكاد تحطي، فقد نظر يوما لابن فروخ فقال :"هذا فقيه بلده" ونظر إلى عبد الله ابن غانم فقال :"وهذا قاضي بلده" ثم نظر إلى البهلول ابن راشد، فقال "وهذا عابد بلده" [1].

1-4-المدارس الفقهية المذهب المالكي:

تأسست هذه المدارس وفقا للأمصار و أوطان تلاميذ صاحب المذهب، فإن انتشار الطلبة في أصقاع الأرض وبذلهم لعلم شيخهم، و توافقهم في مدى تأثرهم بشيخهم، وتمسكهم بأصوله المتنوعة، واختلاف مداركهم وفومهم، مع وجود اختلاف البيات والاعتراف، أدى ذلك إلى نشوء مدارس فقهية لكل مدرسة منهجها العلمي[2]، نذكرها:

1-4-1-المدرسة المدنية:

تعبر هي المدرسة الام، وكان يرحل إليها من أمصار مختلفة من إفريقية و الأندلس ومصر والعراق، وغيرها من البلاد عبر رحلات الحج والعمرة وغيرهما من الرحلات، ومثل هذه المدرسة أفذاذ من تلامذة الإمام مالك المدنيين منهم: عثمان بن عيسى بن كنانة(ت186هـ)[3] الذي قعد في مجلس مالك بعد وفاته، وعبد الله ابن نافع (ت186هـ) ومفتي المدينة بعد مالك ابن الماجشون[4] والمغيرة المخزومي (ت188هـ) [5].

1-4-2-المدرسة المصرية:

---

[1]- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص103 .

[2]- وحدة البحث العلمي بدار الإفتاء، المرجع السابق، ص85.

[3]- **عثمان ابن عيسى ابن كنانة:** قال عنه ابن عبد البر " كان من فقهاء المدينة أخذ عن مالك"، قال ابن بكير" كان بين موت ابن كنانة ومالك عشر سنين، القاضي عياض ، المصدر السابق، ص22.

[4]- **بن الماجشون:** عبد الملك ابن عبد العزيز ابن ابي سلمة، كان مفتي اهل المدينة في زمانه، تفقه عند ابيه ومالك وابن دينار، انظر : القاضي عياض ، المصدر السابق،ص137.

[5]- نفسه، ص86 .

تعد المدرسة الأولى الملكية بعد المدنية باعتبار الترتيب الزمني، وذلك بجهود كبار تلاميذ الإمام مالك، الذين رحلوا إلى مصر بتلقين الناس العلم، ومنهم: عثمان ابن الحكم الجذامي(ت163هـ) و عبد الرحمان بن خالد الجمحي (ت163هـ) اللذان يعتبران اول من قدم إلى مصر بمسائل الإمام مالك .[1]

1-4-3-المدرسة العراقية:

ظهرت بالبصر على يد بعض من كان بها من تلاميذ الإمام، أمثال عبد الرحمان بن مهدي (ت198هـ) وعبد الله بن مسلمة القعنبي (ت220هـ)[2]، وبعض من درسوا على أصحاب مالك المدنيين كيعقوب بن أبي شيبة(ت320هـ) [3].

1-4-4-المدرسة المغربية:

انتشر فقه مالك في بلاد إفريقية والمغرب الإسلامي بفضل طلبته الذين يربو عددهم عن الثلاثين تلميذا، ابرزهم: علي ابن زياد (ت183هـ) مؤسس المدرسة بإفريقية، وعبد الرحمان بن الأشرس، والبهلول بن راشد (ت183هـ) وعبد الله بن غانم(ت190هـ)، الذين يمثلون حجر الأساس في هيكلة المذهب المالكي بالمغرب ثم جاء تلاميذهم من بعدهم، أمثال أسد بن الفرات (ت213هـ) و سحنون(240هـ).[4]

وقد صمد هذا المذهب في وجه الهزات السياسية في المنطقة، أبرزها فكر الخوارج الذي تمثل في دولتي الرسمية وبني مدرار الصفرية، والذهب الشيعي الذي تمثل سياسيا في الدولة العبيدية. [5]

---

[1]- وحدة البحث العلمي بدار الإفتاء، المرجع السابق، ص87 .

[2]- **عبد الله ابن مسلمة القعنبي**: ابن قعنب التميمي الحارثي، اصله مدني وسكن البصرة، روى عن مالك وابن ابي ذئب و ابنه، روى عنه: ابو زرعة، ابو حاتم الرازيان، ابو داوود، القاضي عياض، المصدر السابق، ص198 .

[3]- وحدة البحث العلمي بدار الإفتاء، المرجع السابق، ص89.

[4]- نفسه، ص90 .

[5]- نفسه، ص91 .

1-4-5-المدرسة الأندلسية :

مؤسس المدرسة المالكية في الأندلس هو " زياد بن عبد الرحمان الملقب ب (شطبون) (ت193هـ) فهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس، متفقها بالسماع منه، كذلك ساهم في نشر المذهب بالمنطقة علماء أجلاء منهم: يحي بن يحي تلميذ زياد، وتلميذه العتبي [1].

1-5- علماء المالكية وكتبهم:

كان للمذهب علماء أجلاء اشتهروا و انتشرت مصنفاتهم وتداولها الناس، حفضا وشرحا وتعليمات، نذكر بعض العلماء وبعض مصنفاتهم منها:

- أسد ابن فرات كتب عن ابن القاسم في سائر أبواب الفقه، له كتاب مشهور اسمه الأسدي.

- سحنون قرأ على أسد ابن فرات ودرس على ابن القاسم، كما عارض أسد ابن فرات في مسائل له كتاب اسمه المدونة، بعدها قام بن أبي زيد القيروان باختصار المدونة في كتاب سماه المختصر، بعدها بقي اهل المغرب يشرحون المدونة، مثل ابي يونس واللخمي وابن محرر [2].

1-6- أطوار المذهب المالكي:

لقد مر مذهب إمام دار الهجرة منذ بدايته إلى غاية نضجه بمراحل علمية مختلفة، يمكن اجملها في ثلاث مراحل:

1-6-1- مرحلة النشوء والتكوين(110هـ-300هـ):

[1]- وحدة البحث العلمي بدار الإفتاء، المرجع السابق، ص92.

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، ج2، تح عبد الله محمد درويش، ط1،دار يعرب، دمشق، 1425هـ/2004م، ص193.

تبدأ هذه المرحلة منذ جلوس إمام المذهب للتدريس والفتوى وتنتهي بظهور عالم العراق القاضي اسماعيل بن إسحاق[1]، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة تأسيس وتأصيل للقواعد وأصول هذا المذهب، فتميزت بجمع الروايات والسماعات عن الإمام مالك وتدوينها في مصنفات إلى جانب اجتهادات كبار تلامذته، من تلك المصنفات نذكر الموطأ للإمام مالك، المدونة لسحنون .[2]

1-6-2-مرحلة التطور (301هـ-600هـ):

تبدأ من نهاية القرن الثالث إلى بداية القرن السابع هجري حيث تعتبر هذه المرحلة، مرحلة ضبط وتحرير و تنقيح وتهذيب للكتب السابقة من السماعات والروايات إضافة إلى التفريع والترجيح، من أشهر المصنفات في هذه المرحلة، التفريع لابن الجلاب[3] وتهذيب المدونة للبرادعي .[4]

1-6-3-مرحلة الاستقرار(601هـ فما بعدها) :

ظهرت هذه المرحلة بظهور مختر ابن الحاجب الفرعي المعروف بجامع الأمهات، تميزت هذه المرحلة بالشروح والمختصرات والحواشي والتعليقات، ووصل علماء المذهب إلى

---

[1]- **إسماعيل ابن اسحاق:** الأزدي مولى آل جرير ابن حازم، من العراق كان على المذهب المالكي سمع من القعنبي ومسلم ابن ابراهيم الفراهيدي، انظر: القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، ج4، تح عبد القادر الصحراوي، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب، 1970م، ص279.

[2]- وفاء بوخالفة، **التعايش المذهبي(المذهب المالكي والمذهب الحنفي) في الجزائر خلال العهد العثماني القرن(10-13هـ / 16-19م)** ، شهادة ماستر، تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019 ، ص36 .

[3]- **ابن الجلاب:** عبد الله ابن الحسن ابو قاسم توفي في 378هـ، له كتب في مسائل الخلاف وكتاب التفريع في المذهب، انظر إبراهيم ابن علي ابن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمري، **الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب**، ج1، تح محمد الأحمدي ابو النور، دار التراث، القاهرة، ص461.

[4]- وفاء بوخالفة، المرجع السابق، ص36 .

قناعة بأن اجتهادات العلماء السابقين لم تترك مجالات لمزيد من الاجتهاد.[1]

انتشاره في بلاد المغرب الإسلامي:

كان أهل إفريقية والمغرب يقصدون بلاد الحرمين لأداء مناسك الحج والعمرة، ومان يومئذ إمام دار الهجرة يدرس العلوم الشرعي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومكانته العلمية العالية، وسمته واخلاقه الرفيعة جعلت طلبة العلم من بلاد الغرب الإسلامي وغيرها، يجلسون في حلقته وينهلون من علمه، ويتأدبون بأدبه، ثم إذ ما هم عادو إلى اوطانهم نثروا علمه وفتاويه بين الناس، هذا مما جعل هذا المذهب يبغ الآفاق ويأخذ به جم غفير من المسلمين، قال صاحب المقدمة – ابن خلدون – مبينا اسباب انتشار المذهب في منطقة المغرب والاندلس:" أما مالك رحمه الله فاختص بمذهبه اهل المغرب والاندلس لأن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الاخذ من علماء المدينة، وشيخهم يومئذ بن أنس فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته"، [2] فذكر – رحمه الله– السبب الأول للانتشار وهو رحلة الحج والعمرة.

ثم عدد سببا آخر، متعلقات بالبيئة، وهو تشابه بين البيئة المشاركة بين المدينة وبلاد المغرب عكس ما عليه الأمر في بلاد العراق، من تعقيد وتوسع في العمران، قال:"... وأيضا لم يكونوا يعلنون الحضارة التي للأهل العراق، فكان إلى أهل الحجاز أميل لمشابهة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي فضا عندهم ولم يأخذ تنقيحة الحضارة و تهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب" .[3]

[1]– وفاء بوخالفة، المرجع السابق، ص37.

[2]– عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص180.

[3]– نفسه، ص192.

وقد قام بإدخال هذا المذهب إلى بلاد إفريقية والمغرب ثلة من العلماء الجلاء سمعوا عن صاحب المذهب وكبار تلامذته المدنيين، من هؤلاء العلماء نذكر: عبدالله بن غانم، والبهلول بن راشد، أسد بن فرات و عبدالله بن فروخ، هذا الأخير كان الإمام يجله كثيرا، فلما قدم حاجا فنزل بالمدينة النبوية، لبس ثيابه وتوجه إلى قبر الرسول صلى الله عليه و سلم، ثم أتى إلى ابن أنس فلما رآه–اي مالك– وكان لا يكاد يفعل ذلك لكثير من الناس قام اليه وذلك لتقدير له، لمكانه عنده، فأجلسه بجانبه وسأله عن احواله، وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وابن فروخ حاضر معه إلا وقال: "اجب يا أبا محمد" فيجيب عبدالله بن فروخ، فيقول مالك للسائل :"هو كما ذكر لك" قال :تم التفت مالك إلى أصحابه فقال :"هذا فقيه بلده" [1].

عبد الله بن فروخ وأمثاله من العلماء الكبار الذين تتلمذوا على يد الإمام و اكتسبوا العديد من خصاله استطاعوا بفضل علمهم واخلاصهم من نشر المذهب في منطقتهم بإفريقية ثم المغرب الإسلامي فجعوا من المذهب عنصرا حضاريا له أثره في كل نواحي الحياة بالمنطقة.

2– صراعه ضد الخوارج:

لقد كانت بلاد المغرب الإسلامي عند الفتح الإسلامي تابعة لدولة الخلافة، وهي يومئذ الخلافة الأموية، التي كانت تسير على العقيدة السنية (مذهب اهل السنة والجماعة) وإن كان هناك ظلم وجور من بعض الولادة، لكن الدور السياسي للذهب السني حاضرا وبارزا، لكن مع مطلع القرن الثاني هجري بدأت الفرق والمذاهب الإسلامية بالظهر، ابتداء بالخوارج ثم الشيعة، هذه المذاهب نازعت السلطة السياسية وحاولت تشكيل كيانات سياسية وفقا للمذاهب الدينية فأضعفت دولة الخلافة ودخلت معها في صراعات خاصة تيار الخوارج، هذا ما جعل لفقهاء المالكية أمثال عبدالله بن فروخ[2] وعبد الله بن غانم دور كبير

[1]– الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص103 .

[2]– **ابن فروخ:** ابو محمد عبد الله ابن فروخ الفارسي فقيه القيروان في وقته ولد 115هـ بالأندلس ثم انتقل الى افريقية، سمع من مالك والثوري، كان فقيها ورعا، أنظر : القاضي عياض، المصدر السابق، ص102.

في الحياة السياسية وسعي الأمراء والولاة الاستعانة بهم في الحروب التي تقع لهم، وذلك لغزارة علمهم وامانتهم ودرايتهم بالأمور وكذا لمكانتهم لدى عامة الناس.[1]

ومثالا على دورهم السياسي الذي قاموا به ما فعله والي القيروان حنظلة ابن صفوان، لما كانت ثورة ميسرة المغري الخارجي (122هـ/739م) حيث استعان بالفقهاء السنين المالكيين فأيدوه وناصروه وكتبوا له رسالة، تعد أول وثيقة في العقيدة السنية في بلاد المغرب ومن بينهم، عبدالله بن عمر بن غانم الذي كان من الرجال البارزين في معركة القرن في مواجهة الخوارج حيث ابلى بلاء حسنا.[2]

كذلك لما استولى الخوارج الصفرة على القيروان سنة 140هـ، بعث علماء إفريقية المالكيين السنيين إلى الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور برئاسة عبد الرحمان بن زياد المعافري يطلبون منه النصرة وأمره بتوليته القضاء على عبد الرحمان بن زياد ان استولى على إفريقية.[3]

ومن مظاهر الصراع السني والمذاهب الخارجي، عندما حاول الخوارج استغلال سوء سياسة الوالي الأموي عبد الرحمان بن حبيب الفهري وآله، لكن أهل إفريقية ثبتوا وتمسكوا بمذهبهم السني فثبتوا في مواجهة الزعيم الخارجي الإباضي ابي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، الذي دخل مع اتباعه لتحرير القيروان من تسلط استلاء الصفرية كما يزعم قادنا من طرابلس، وانتهى الأمر بانتصار محمد بن مقاتل العكي العباسي، وبانتصاره تمكن لأهل السنة والجماعة، وقتل ابي الخطاب بن السمح المعافري (144هـ/761م) وانتصار

[1]– مصطفى داودي، **مكانة الفقهاء السياسية في بلاد المغرب الإسلامي**، العدد 7، مجلة الدراسات التاريخية جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2018م، ص14.

[2]– نفسه، ص14.

[3]– نفسه، ص14 .

حنظلة بن صفوان ثم محمد بن الاشعث الذي مهد الطريق للعباسيين الذين ارسلوا المالية لتثبيت منهج أهل السنة والجماعة بإفريقية و ردوا منها الخوارج .[1]

والجدير بالذكر ان العلاقة بين الفقهاء المالكية والسلطة كانت مختلفة حسب الولاة من ناحية عدلهم وجورهم مع الرعية، فلم يكن فقهاء المالكيين علماء سلاطين وإنما كانوا مع الحق، وما أكسبهم احتراما وتقديرا لدى السلطة الحاكمة، ومن أمثلة ذلك أن عبدالله فروخ كان يرى الخروج على أئمة الجور والظلم، اذا كانت هناك قدرة على ذلك وكانت المفسدة أقل مما عليه وهو تحت الحكم الجائر، فقد كان يواعد أصحابه على الخروج ويعاهدهم أن يتوافوا بباب اصرم، فمن وافاه الا ابو محرز واصحابه، فوصل ذلك الخبر إلى روح بن حاتم، فقال له :"بلغني انك ترى الخروج علينا" قال: نعم، فتعاظم ذلك في نفس روح ابن حاتم فقال له : في كم، فقال: في ثلاثة مائة رجل وبضعة عشرة رجلا، عدة أهل بدر كلهم افضل مني".[2]

3- الدولة الاغلبية واحتضانها للذهب المالكي:

3-1- نشأة الدولة الاغلبية:

كانت الدولة الاغلبية دولة عربية مسلمة بأوسع معاني الكلمة، رشيدة الأمر حكيمة السياسة، وكان منهجها في الحكم إدماج البربر في العرب، وتحويل نشاطهم إلى الخارج، والتعالي عن مناوأة البلاد المنفصلة عنها كالمغرب الأقصى والاندلس، بل تنحت عنها وانصرفت إلى الفتح و التوسع في قارة أوربا وتركيز سياستها في علاقتها مع الدول المجاورة لها على أساس القوة و السطوة فكانت بذلك المثل الأعلى لعظمة الدولة الإسلامية في الخارج.[3] (انظر الى الملحق رقم 02).

---

[1]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص87.

[2]- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص103.

[3]- عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تح احمد بن ميلاد و محمد ادريس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م، ص203.

كان قيام دولة الاغالبة في إفريقية عام 184هـ/800م مرتبطا ارتباطات وثيقا بما كان يسود بلادها من اضطراب وفوضى وصراع مذهبي وثورات الجند العرب والبربر في الفترة الممتدة من خلافة هشام بن عبد الملك (105هـ-125هـ/724م-743م) إلى نهاية الدولة الأموية (132هـ/750م). [1]

وفي الحقيقة كانت الخلافة العباسية مشغولة بمشاكلها في المشرق لتثبيت كيانها و جودها، فكان عليها محاربة الزندقة والقضاء على حركات العلويين ووقف اخطار البيزنطيين [2]

ووسط كل هذه الظروف التي ذكرناها سابقا ظهر ابراهيم ابن الاغلب [3]، على مسرح الحياة السياسية في بلاد إفريقية فقد قيل كان ظهوره نتيجة خدمته في جيوش بني المهلب وذكر انه كان في ولاية الزاي سنة 180هـ وانه لاطف هرثمة ابن الأعين وقدم له الهدايا فولاه ناحية الزاب وكانت الزاب الكثير من قوم ورهط بني الاغلب فكانت سندا قويا لإبراهيم بن الاغلب فيما بعد.[4]

ينسب الاغالبة إلى الاغلب ابن سالم التميمي، وهو عربي من قبيلة تميم التي اسهمت في القضاء على الخلافة الأموية وقيام الدولة العباسية، وكان الاغلب ابن سالم من اشجع رجال ابي مسلم الخرساني، ثم شغل مركزا مرموقا في جيش محمد ابن الاشعث بمصر ويبدوا انه أقام بمصر ونقل إليها أسرته، ولما ساءت أحوال إفريقية من جراء ثورات الخوارج امر الخليفة المنصور محمد ابن الاشعث بإقرار الأمور فيها، فخرج وبصحبته الاغلب ابن

---

[1]- ابن وردان، **تاريخ مملكة الأغالبة**، تح محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، 1988م، ص5.

[2]- نفسه، ص5.

[3]- **إبراهيم ابن الاغلب:** هو ابراهيم ابن الاغلب ابن سالم ابن عقال ابن خفاجة التميمي، ولد بالقيروان وكان من رجال الدنيا الأفذاذ في العلم والسياسة وحسن التدبير بالحروب، أنظر: عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص204 .

[4]- نفسه، ص 204.

سالم من مصر على رأس جيش كبير تمكن من قمع الفتن، ثم ولاه ابن الاشعث بلاد الزاب.[1]

واستطاع ابراهيم بن الاغلب ان يحقق التزاماته نحو الخلافة فتكون قوة عسكرية كبيرة من البربر المستعربة الذين عملوا كجند في الجيش الاغلبي، كما استكثر ابراهيم ابن الاغلب من الصقالبة وكما اضاف إليهم بعد ذلك قوة من السود [2].

كذلك كون ابراهيم ابن الاغلب قوة بحرية هائلة مكنت الاغالبة بعد ذلك من غزو صقلية ومالطة والساحل الإيطالية[3]، وكان لتربية ابراهيم بن الاغلب الدينية أثر كبير في ثقافته الظاهرة التي لعبت دورا هاما في دفع الدولة إلى طريق العلم والحضارة والرقي [4].

ان قيام دولة الاغالبة جعل لإفريقية وأهلها شخصية مميزة وفريدة تختلف كل الاختلاف عن بقية بلدان المغرب فكانت المدن والقرى الأفريقية محطات ومراكز العلم والشيوخ والتجار فنهضت حركة العمران والانشاء إلى جانب الزراعة والرعي [5]،كذلك اهتم بتأمين سبل الحياة الداخلية، فحفر الآبار وأنشأ الصهاريج وأحواض المياه، واعتنى بالأسواق التجارية فازدهرت الزراعة والصناعة، لكن الضرائب كانت مرتفعة وتنفق معظم إيرادات الدولة على الجنود الذين زادوا عن حاجتها مما افقد الازدهار التجاري والعمراني مما أن يأتي بفوائده الرجولة.

ومما لاشك فيه ان الحياة الاقتصادية قد ازدهرت في إفريقية بقيام دولة الاغالبة، فاستفادوا من وضع البلاد الجغرافي فجمعوا الثروات الطائلة.[6]

---

[1]– محمود إسماعيل، **الاغالبة(184–296هـ) سياستهم الخارجية**، ط3، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، مصر، 2000م، ص19.

[2]– ابن الوردان، المرجع السابق، ص32.

[3] نفسه، ص32.

[4]– نفسه، ص33.

[5]– نفسه، ص35.

[6]– نفسه، ص37.

وفي عهد زيادة الله بن أبي العباس عبد الله، آخر الأمراء الأغالبة في إفريقية، قضى أيامه في اللهو والترف دون أن يلتفت إلى مقاومة الخطر الشيعي الفاطمي الذي أخذ يزداد قوة واندفاعا، وتنازل زيادة الله الثالث عن الحكم ليلة الاثنين (296هـ/909م) إثر كارثة الأربس بعد أن استولت قوات الكتاميين عليه وانتشرت في البلاد، فانتهت بذلك دولة الأغالبة وقامت الدولة الفاطمية وبدأ تاريخ إفريقية والمغرب عصر الفاطميين.[1]

3-2- مظاهر الحضور المذهبي المالكي في الحياة السياسية:

إن الجماعات المالكية بدأت في إرساء قواعدها بفضل جهود الجيل الأول من الفقهاء الاوائل[2]، من أمثال علي بن زياد والبهلول بن راشد وأسد ابن فرات، بالرغم من أن السلطة السياسة بالقيروان المتمثلة في الاغالبة كانت في هذه الفترة حنفية وكذا السلطات المتمركزة بالمغرب الأوسط تراوحت بين الإباضية في تيهرت والزيدية بالعيد من المدن، لكن هناك عوامل لم تكن في صالح حملة فقه الإمام مالك ابن أنس حالت دون انتشاره الواسع بسبب نوعية الفقه ذاته الذي ادخله هؤلاء والمتأثر بالفقه العراقي[3]، وكذلك اعجمية علي ابن زياد "مؤسس المدرسة المالكية الإفريقية" وفشله في إقناع العناصر العربية إلا أوضاع التوجه المالكي تغيرت وأخذت بعدا أكثر أهمية مع سحنون بن سعيد التنوخي الذي تمكن من تصحيح مرجعية الفقه المالكي.[4]

إن الحديث عن حضور سياسي مالكي، ليس واردا قبل عصر سحنون بن سعيد وقبل قبوله منصب القضاء بعد إلحاح شديد من السلطة الأغلبية، والتي يمكن عد هذا الصنيع

---

[1]- محمد سهيل طقوش، **تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام**، ط2، دار النفاس، بيروت، 1428هـ/2007م، ص46.

[2]- نجم الدين الهنتاي، **المذهب المالكي بالمغرب الاسلامي، منشورات تبر الزمان**، تونس، 2004، ص37.

[3]- عبد المجيد ابن حمدة، **ثقافة المجتمع القيرواني في القرن الثالث**، ط1، شركة الفنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، 1997، ص166

[4]- نوار نسيم، **المذهب المالكي ببلاد المغرب في العهد الاغلبي والفاطمي**، العدد 15-16، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، 1434هـ/2013م ، ص78.

منها اعترافا ضمنيا بأهمية المذهب المالكي الذي ما فتئ ينافس نظيره الحنفي، ويبدوا أن سحنون بن سعيد قد سطر بعد مباشرته خط القضاء لتقاليد سياسته–ضمن سلطته العلمية– تحكم علاقة فقهاء المالكية فيما بعد بالسلطة السياسية الحاكمة، تلك التقاليد التي تقوم على مبدأ قبول الفقيه التعاون مع السلطان ويكون فيه للفقيه حضوره الفاعل وسط الجماهير التأييد–على الدوام– تضامنه معها، وهكذا تمكن سحنون بن سعيد بفعل نشاطه العلمي واستخدام منصبه القضائي من التمكين للذهب المالكي وضرب الجامعات المناوئة، لأهل السنة والجماعة، وتشكيل نواة الجماعة المالكية الثانية في القيروان المكونة اساسا من أصحابه وطلبته، غير أنه مع هذا كله لم يشهد التفرق النهائي للذهب المالكي، ومهما يكن من أمر فإن سحنون بن سعيد قد ميز عهده وخاصة فترة قضائه بطابع ترسيخ المذهب المالكي الخالص وتثبيت للأسس التي تستحق انتصار فيما بعد [1].

كذلك اتجهت دولة الأغالبة في عهد أبو العباس محمد الأول اتجاها مذهبيا سنيا بتعيين القاضي سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي الفقيه، القضاء، وكان مالكيا وذلك في رمضان 234هـ، ويبدو ان هذا التطور المذهبي جاء للإشباع حاجة السكان على المذهب السني الذين ساندوا الدولة في صراعها مع الخوارج بعامة، وساندوا محمد الأول في صراعه مع أخيه أحمد بخاصة، بالإضافة إلى أن الأغالبة منذ أن صار مذهب الاعتزال رسميا لدولتهم، أرادوا المحافظة على توازن القوى في الداخل بفعل الاختلال العددي بين أهل السنة الأكثر عددا والمعتزلة الأقل عددا، وبذلك يكون عهد الأول قد تحول تحولا حاسما في اتجاه السياسة. الدينية للإمارة .[2]

[1]– نوار نسيم، المرجع السابق، ص80.

[2]– محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص42.

الخاتمة

لقد أسفرت دراستنا لموضوع الحضور المذهبي في الحياة السياسية في المغرب الإسلامي من خلال كتاب الرقيق القيرواني إلى جملة من النتائج نلخصها في ما يلي :

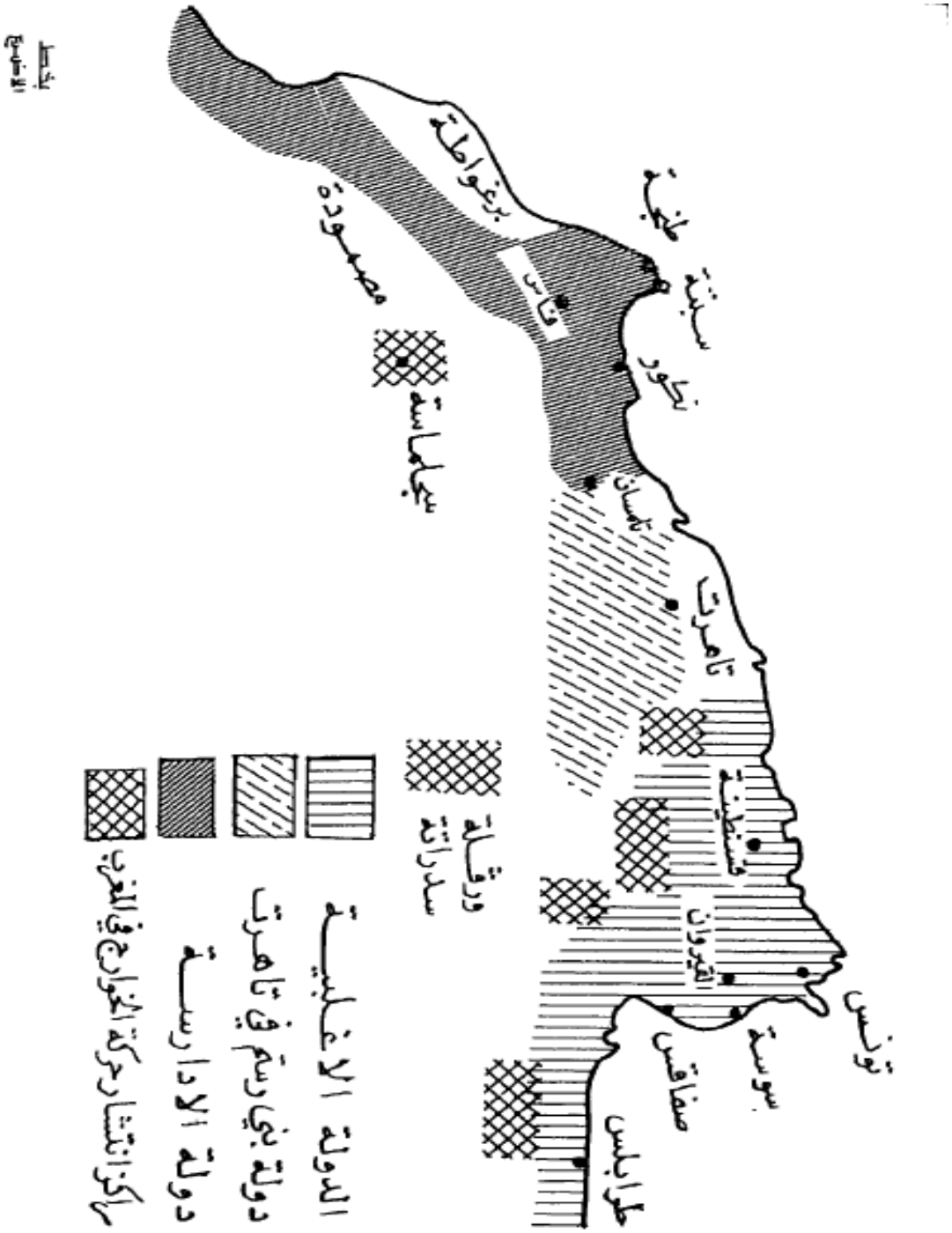
- اهمية المصدر المعتمد "تاريخ إفريقية والمغرب" ذلك لكونه متخصصا في تاريخ المنطقة (مصدر خاص)، وكون المؤلف من أبناء المنطقة وكذا من أقدم المصادر (توفي في420هـ).
- يعد الفكر الخارجي أول الفرق الوافدة على بلاد المغرب، تمثل في فرقتي الإباضية والصفرية.
- تمكن هذان المذهبان من انشاء كيانات سياسية في المغرب، فالصفرية أسسوا الدولة المدرارية سنة (140هـ/707م)،وتمكن الإباضية من تأسيس الدولة الرستمية سنة (160هـ/776م) فهذه الكيانات السياسية تمثل نقلة هامة في تاريخ بلاد المغرب، حيث نجح أصحاب هذا المذهب في تحقيق أهدافه المنشودة.
- كانت معتقدات وأفكار الفكر الخارجي حاضرة في الحياة السياسية من خلال مسألة الخلافة، وكذا العلاقات السياسية مع باقي الدول.
- مثلت الخلافة الإسلامية العباسية وقبلها الأموية الاتجاه السني، وقد كانت الدولة الاغلبية في إفريقية على المذهب السني وتعقد الولاء للخلافة العباسية.
- ناصرت الدولة الاغلبية المذهب السني المالكي الذي كان له دور كبير في القضاء على الفكر الخارجي من اخلا نشر مذهب أهل السنة والجماعة الرعية بالمنطقة.
- كانت حضور المذهب المالكي في الجانب السياسي للدولة الاغلبية، من خلال العلاقات التقديرية التي كان يتعامل بها حكام الأغالبة مع علماء المالكية (بن فروخ أنموذجا)، وتمكين علماء المالكية في القضاء والذي يعتبر من أهم مفاصل الدولة وكذا انتشار الحركة الفقهية.
- تمثل الحضور المذهبي في الحياة السياسية في بلاد المغرب الإسلامي في تيارين الأول سني تبناه الولاة الأمويين وبعدها المذهب المالكي برز في فترة الأغالبة في

المغرب الأدنى، اما الثاني فهو المذهب الخارجي بفرقتيه الإباضية والصفرية، وكانت بين هذه الدويلات علاقات سياسية تميزت تارة بالسلم وتارة أخرى بالعداء.

وفي الأخير نستنتج أن منطقة المغرب الاسلامي شهدت صراعات مذهبية على ساحتها السياسية، حيث كونت هذه الاخيرة دويلات في مختلف ربوع المغرب، وتمكنت من نشر معتقداتها و قامت على التعايش و التوتر و كذلك كونت تأثيرا سياسيا مذهبيا مع السلطة و الخلافة الاسلامية في المشرق.

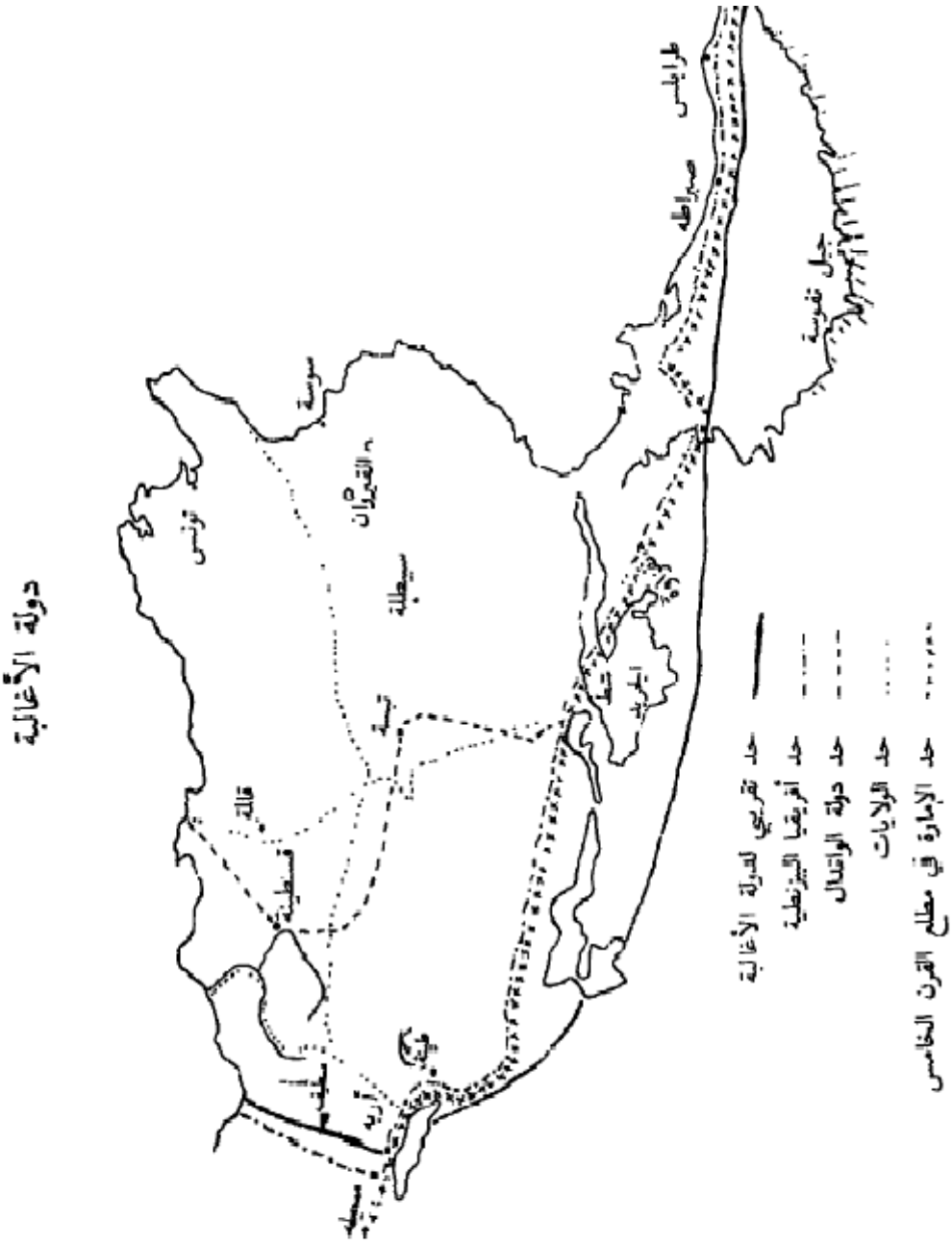
الملاحق

الملحق رقم01: خريطة توضح مناطق تواجد الدويلات في منطقة المغرب الإسلامي.



- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص114.

الملحق رقم02: خريطة توضح حدود دولة الأغالبة مع الدويلات الأخرى.



- محمد طالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184- 296هـ/ 800- 909م، مراجعة حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985م، ص145.

الملحق رقم 03: جدول يوضح المؤسسين الفعليين لدويلات القائمة في المغرب الإسلامي وتواريخ تأسيسها.

الدولة	مؤسسها	سنة تأسيسها	عاصمتها
دولة بني مدرار الصفرية	عيسى ابن يزيد الأسود	140هـ/ 757م	سجلماسة
الدولة الرستمية	عبد الرحمن بن رستم	160هـ/ 776م	تيهرت
الدولة الأغلبية	إبراهيم ابن الأغلب	184هـ/ 800م	القيروان

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الشكر والعرفان	-
الإهداء	-
المختصرات	-
المقدمة	-
المبحث الأول: دراسة الكاتب والكتاب	6- 19
1- ترجمة الكاتب	7- 13
1- 1- نشأته	7- 8
1- 2- مؤلفاته	9-10
1- 3- عصر الكاتب السياسي والعلمي	10- 13
2- دراسة لكتاب تاريخ إفريقية والمغرب	13- 19
2-1- دراسة ظاهرية للكتاب	13
2-2- محتوي الكتاب	13- 18
2-3- مصادره	18
2-4- منهجه	18- 19
المبحث الثاني: المذهب الخارجي ودوره السياسي ببلاد المغرب	20- 40
1- تعريف الخوارج ونشأتهم	21- 28
1-1- تاريخ الخوارج	22- 24
1-2- انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب	24- 28
2- الدور السياسي للمذهب الإباضي	28- 36
2-1- نشأت المذهب الإباضي وقيام الدولة الرستمية	28- 31
2-2- عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (موطد الدولة الرستمية)	32
2-3- أفلح بن عبد الوهاب (211- 240هـ) (828- 854م)	32- 33
2-4- مظاهر الحضور المذهبي للفكر الإباضي للحياة السياسية	33- 35
2-5- العلاقة السياسية بين تيهرت والقيروان (144- 296هـ/ 761- 909م)	35
2-6- علاقة الرستميين بالأغالبة (184- 296هـ/ 800- 908)	35- 36

3- المذهب الصفري ودوره السياسي	36 -40
3-1- نشأت سجلماسة	36
3-2- قيام الدولة الصفرية	37- 38
3-3- الدور السياسي للمذهب الصفري	38- 39
3-4- العلاقة السياسية بين المذهب الصفري والخلافة العباسية	39
3-5- العلاقة السياسية لدولة بني مدرار الصفرية	39- 40
المبحث الثالث: المذهب المالكي وصراعه ضد مخالفيه	41- 55
1- تعريف المذهب المالكي ونشأته ببلاد المغرب	42- 49
1-1- تعريفه	42
1-2- ترجمة الإمام مالك	42- 43
1-3- مصنفاته	43- 44
1-4- المداس الفقهية للمذهب المالكي	44- 46
1-5- علماء المالكية وكتبهم	46
1-6- أطوار المذهب المالكي	46- 49
2- صراعه ضد الخوارج	49- 51
3- الدولة الأغلبية واحتضانها للمذهب المالكي	51- 55
3-1- نشأة الدولة الأغلبية	51- 53
3-2- مظاهر الحضور المذهبي المالكي في الحياة السياسية	53- 55
الخاتمة	56- 58
الملاحق	59- 62
قائمة المصادر والمراجع	63- 68
الفهرس	69- 71